عن الدلالة الصوتية في سورة القيامة

د. عائشة صالح بابصيل
أستاذة فقه اللغة المساعدة
قسم اللغة العربية – كلية اللغات والترجمة
جامعة جدة

ملخص الدراسة:

ترتكز هذه الدراسة على توضيح بعض مظاهر الدلالة الصوتية في سورة القيامة، بهدف الكشف عن العلاقة بين الصوت والمعنى من خلال محورين، يسبقهما تمهيد عن الدلالة الصوتية. أما المحوران فقد تناول المحور الأول منهما الدلالة الصوتية للأصوات التركيبية من خلال الوقوف على دلالة تكرار الأصوات، وصفتي الجهر والهمس، والقيمة التعبيرية للصوت، والمحور الثاني يتضمن الحديث عن الدلالة الصوتية للأصوات فوق التركيبية من خلال دلالة المقطع، والوقف، والإيقاع في الفاصلة القرآنية. متبعة في ذلك المنهج الوصفي، ومعتمدة على قراءة ثلاثة من المقرئين للسورة موضع الدراسة، برواية حفص عن عاصم قراءة مرتلة. وختمت الدراسة بعدد من النتائج، والتي من أبرزها: المناسبة الدلالية بين شيوع الأصوات المجهورة في السورة والمعاني التي دارت حولها، وتشكيل البنية المقطعية الأساسية في السورة من المقاطع الثلاثة الأولى في العربية، وغلبة الوقفات غير المنتهية حسب أداء المقرئين على الوقفات المنتهية في السورة، وتحقق التجانس أو التوافق في الفاصلة القرآنية على مستوى الأصوات وعلى مستوى المقاطع.

تقديم:

تقوم هذه الدراسة على أساس من المنهج الوصفي، من خلال الوقوف على بعض جوانب الدلالة الصوتية في السورة الكريمة، مسترشدة في ذلك بما ورد عند أسلافنا من المفسرين واللغويين، وبما بات مقرراً في علم الأصوات.

واختيار النص القرآني ميداناً للتطبيق كونه النص العربي الفصيح الذي لا تبلى عجائبه ولا تنقضي نفائسه. ووقع الاختيار على سورة القيامة؛ لمناسبة طول آياتها لهذه الدراسة، مع ما اشتملت عليه من جوانب متعددة صوتية يمكن دراستها، لذا وسمت الدراسة بعنوان "عن الدلالة الصوتية في سورة القيامة"، ولا يخفى على كل من خاض غمار الدرس الصوتي ما فيه من الصعوبة والخطورة: الصعوبة حيث إنه مطية تجهد

صاحبها وتستعصي عليه كثيراً، والخطورة لارتباط الدراسة بالنص القرآني، الذي له قدسية في دراسته تكون حاضرة في الذهن خوف الزلل والخطأ.

والدراسة تقوم على النص المنطوق؛ لذا تم الاعتماد على قراءة ثلاثة من المقرئين، قراءة مرتلة برواية حفص عن عاصم، وهم: محمد صديق المنشاوي – عبد الباسط محمد عبد الصمد – محمود خليل الحصري. وبعد الاستماع لقراءاتهم كتبت الآيات كتابة صوتية، وكتابة مقطعية، مع إحصاء الوقفات والسكتات – إن وجدت – تمهيداً للدراسة.

وقد حاولت خلال هذه الدراسة الإجابة عن سؤال يمثل فرضية البحث، وهو ما مدى العلاقة بين الصوت والمعنى؟ من خلال الإجابة عن سؤالين فرعيين:

- ما أثر الأصوات التركيبية من حيث (التكرار والشيوع – الجهر والهمس – القيمة التعبيرية للصوت) في المعنى؟
- ما أثر الأصوات فوق التركيبية من حيث (المقطع – الوقف – الإيقاع) في المعنى؟

وقد اقتضى ذلك أن تأتي الدراسة في مبحثين: الأول: عن الدلالة الصوتية للأصوات التركيبية، والثاني: عن الدلالة الصوتية للأصوات فوق التركيبية، يسبقهما تقديم موجز، يعقبه تمهيد عن الدلالة الصوتية وعن السورة الكريمة النص المدروس، ثم جاءت الخاتمة متضمنة النتائج.

تمهيد:

١- عن الدلالة الصوتية:

إن البحث في الدلالة، والعلاقة بين اللفظ والمعنى من القضايا التي حظيت باهتمام العلماء في مجالات العلم المتعددة، فكان لها النصيب الوافي من الدرس والتحليل عند اللغويين والأصوليين والفلاسفة من القدماء والمحدثين، ومما أسفر عنه هذا العطاء العلمي تقسيم الدلالة إلى أنواع، فالجاحظ يذكر أن "جميع أصناف الدلالات على المعاني من لفظ وغير لفظ خمسة أشياء لا تنقص ولا تزيد: أولها اللفظ، ثم الإشارة، ثم العَقْد، ثم الخط، ثم الحال التي تسمىّ نِصبَة، والنصبة هي الحال الدالة التي تقوم مقام تلك الأصناف، ولا تقصِّر عن تلك الدلالات".[١] أما ابن جني فيجعل الدلالة ثلاثة أنواع، تتفاوت في المرتبة قوة وضعفاً، "فأقواهنّ الدلالة اللفظية، ثم تليها الصناعية، ثم تليها المعنوية".[٢] وقد ذكر الدكتور صالح الفاخري أن الدلالات الثلاث تقابل ما لدى المحدثين اليوم، فاللفظية هي ما تعرف عندهم بالدلالة الصوتية، والصناعية يراد بها الدلالة الصرفية، أما الدلالة المعنوية فهي الدلالة النحوية.[٣]

وهذه الدلالات الصوتية والصرفية والنحوية، ويضاف لها الدلالة المعجمية أو الاجتماعية هي ما يجده الباحث من أنواع للدلالة عند معظم اللغويين المحدثين[٤]، والحديث هنا يتمحور حول الدلالة الصوتية.

يتألف الكلام من وحدات صوتية يمكن النظر إليها من الجزء إلى الكل، فالصوت هو اللبنة الأساس، إذ يطلق الفونيم على "أصغر وحدة صوتية ذات أثر في الدلالة".[٥] ومن الأصوات أو الفونيمات يتكون المقطع، ومن تتابعاته تكون الكلمة، والتي تأتلف مجتمعة في جملة.

واللغة المنطوقة هي موضوع علم الأصوات، والذي يُعنى بدراسة الصوت الإنساني[٦]، والأصوات على نوعين: الصوت التركيبي، وهو الوحدة الصوتية التي تكون جزءاً أساسياً في الكلمة، وبه يختلف المعنى وتتغير الدلالة، فاختلاف الصوت الأول في

---

[١] البيان والتبيين، تحقيق وشرح عبد السلام هارون، دار الفكر، ٧٦/١.

[٢] الخصائص، تحقيق محمد النجار، ط٢ – دار الهدى – بيروت، ٩٨/٣.

[٣] انظر: الدلالة الصوتية في اللغة العربية، مؤسسة الثقافة الجامعية – الإسكندرية، ٢٠١٩، ص ٤٤.

[٤] انظر: د. إبراهيم أنيس: دلالة الألفاظ، ط٦ – دار المعارف – ١٩٨٦، ص ٤٦ – ٤٨ وإن كان بعض اللغويين يفرق بين الدلالة المعجمية والدلالة الاجتماعية.

[٥] د. أبو السعود الفخراني: في علم اللغة العام، ط١ – ١٤٢٠هـ، ص ١٢٢.

[٦] انظر: د. عبد العزيز علام و د. عبد الله ربيع: علم الصوتيات، مكتبة الرشد – الرياض – ١٤٢٥هـ، ص ١٩.

الكلمات: قام – نام – حام يترتب عليه اختلاف المعنى، واختلاف الحركة في: كَتَبَ – كُتِبَ – كُتُبٌ يقف وراء دلالة الكلمة الأولى على الفعل الماضي المعلوم فاعله، والثانية على الفعل الماضي المبني للمجهول، ودلالة الكلمة الثالثة على صيغة التكسير. والفونيم التركيبي على نوعين: الصائت أو الحركة، والصامت.

أما النوع الثاني من الأصوات فهي الأصوات فوق التركيبية، أو تسمى بالأصوات الثانوية، وهي لا تكون جزءاً من تركيب الكلمة، فهي ملمح صوتي غير تركيبي، يرمز له برموز إضافية. [٧] ذلك أن الكلام يتطلب إلى جانب تحقيقه النطق السليم للأصوات أموراً أخرى، منها: استعمال النبر المناسب للموقف، والتوزيع الصحيح للنغمات والعناية بالتلوين الصوتي والكم الزمني للأصوات، وهذا ما يتمثل في الأداء الذي يتكون من العناصر الآتية: النبر – التزمين – التنغيم – الطول – صفة الصوت – الوقفات – الإيقاع.[٨]

ومن مجموع هذه الأصوات بنوعيها تكون الدلالة الصوتية، وهي المستمدة من طبيعة بعض الأصوات، كما في (نضخ – نضح) فنضخ بالخاء تدل على التدفق بقوة، ونضح بالحاء تكون للتدفق ببطء، وغير ذلك من الأمثلة المذكورة عند الحديث عن مقابلة الألفاظ بما يشاكل أصواتها من الأحداث، كما أن التغيير من صوت لآخر يترتب عليه دلالة مغايرة واختلاف في المعنى، كما سبق التمثيل (قام – نام – حام) و (كَتَبَ – كُتِبَ – كُتُبٌ).

كذلك تتحقق الدلالة الصوتية من خلال كلمات الجملة المجتمعة، وطريقة أدائها الصوتي، والتي تتعدد مظاهره، وهذا النوع أكثر إسهاماً في الدلالة الصوتية.[٩]

والدلالة الصوتية إما أن تكون ذات دلالة وظيفية مطردة، إذا ما كانت متصلة بالأصوات التركيبية، فكل صوت هو مقابل استبدالي لآخر يعقبه اختلاف في المعنى إذا وقع الاستبدال بين صوتين. وإما أن تكون ذات دلالة وظيفية غير مطردة، وهذا يتحقق من خلال الأصوات فوق التركيبية، من مثل: النبر – التنغيم – التزمين، وغير ذلك مما لا يتصل بالبناء الصوتي، وإنما بالأداء الصوتي والسياق كله للجملة أو للكلام.[١٠]

---

[٧] انظر: د. أحمد مختار عمر: دراسة الصوت اللغوي، عالم الكتب – القاهرة – ١٤١١هـ، ص ٢١٩.

[٨] انظر: للباحثة: النظام الأدائي للجملة الشرطية في العربية الفصحى المعاصرة في المملكة العربية السعودية من خلال خطب الجمعة في الحرمين الشريفين، رسالة ماجستير – كلية التربية للبنات بجدة – ١٤٢١هـ، ص ٣-٤.

[٩] انظر: د. محمود عكاشة: التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة، دار النشر – القاهرة – ١٤٣٢هـ، ص ١٨.

[١٠] تحديد المقصود بالأصوات التركيبية وفوق التركيبية مما وقع الخلاف فيه بين بعض اللغويين في العربية. انظر في ذلك: المرجع السابق، ص ١٨-١٩.

وأرجع د. صالح الفاخري الدلالة الصوتية المطردة وغير المطردة إلى نوعين من الدلالة هما:

- الدلالة الصوتية الاصطلاحية، وهي التي تكون دلالة اللفظ فيها عن طريق المواضعة والاصطلاح.
- الدلالة الصوتية الطبيعية، وهي التي تكون الأصوات فيها توحي بمعانيها، فتحاكي الأصوات أصوات الطبيعة، وأصوات الإنسان أو الحيوان[١١]، وهذا مما يرتبط بنظرية المحاكاة في نشأة اللغة.

والدلالة الصوتية عند متقدمي اللغويين قد نالت عنايتهم وجل اهتمامهم، فالخليل بن أحمد أشار إلى الدلالة الصوتية الطبيعية في قوله: "وأما الحكاية المضاعفة فإنها بمنزلة الصلصلة والزلزلة وما أشبهها يتوهمون في حسّ الحركة ما يتوهمون في جرس الصوت".[١٢] وبرز هذا الاهتمام بشكل جلي عند ابن جني إمام القائلين بالعلاقة بين الصوت والمعنى علاقة طبيعية، فقد عقد في كتابه الخصائص أبواباً تحدث فيها عن ذلك، ومن هذه الأبواب: "تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني"[١٣]، "إمساس الألفاظ أشباه المعاني"[١٤]، ومما جاء في هذا الباب: "اعلم أن هذا موضع شريف لطيف. وقد نبه عليه الخليل وسيبويه، وتلقته الجماعة بالقبول له والاعتراف بصحته. قال الخليل: كأنهم توهموا في صوت الجندب استطالة ومداً، فقالوا: صرّ، وتوهموا في صوت البازي تقطيعاً، فقالوا: صرصر".[١٥]

وتوالت جهود اللغويين في إبراز مظاهر الدلالة الصوتية وتنوعها، وورث هذا العطاء المحدثون فاستفادوا منه، وأضافوا إليه بعد اطلاعهم على الدراسات اللغوية في الغرب وتعددت دراساتهم في ذلك بين التنظير والتأصيل، أو التطبيق والتمثيل.[١٦] وتأتي هذه الدراسة محاولة تطبيقية لتأكيد العلاقة بين الصوت والمعنى، ولتوضيح بعض مظاهر الدلالة الصوتية في سورة القيامة من خلال الحديث عن:

- دلالة صفات الأصوات (الجهر والهمس) - دلالة تكرار الأصوات.

---

[١١] انظر: الدلالة الصوتية في اللغة العربية، ص ٥٠.
[١٢] كتاب العين، تحقيق د. مهدي المخزومي وآخر، مكتبة دار الهلال، ٥٥/١.
[١٣] انظر: ١٤٥/٢-١٥٢.
[١٤] انظر: ١٥٢/٢-١٦٨.
[١٥] السابق، ١٥٢/٢.
[١٦] انظر: د. صالح الفاخري: الدلالة الصوتية في اللغة العربية، ص ٥٠-٦٤.

- دلالة المقطع – القيمة التعبيرية للصوت التركيبي
- دلالة الإيقاع في الفاصلة القرآنية – دلالة الوقف

٢– بين يدي السورة:

سورة القيامة هي السورة الخامسة والسبعون في ترتيب المصحف، وهي الحادية والثلاثون في ترتيب النزول. نزلت بعد سورة القارعة وقبل سورة الهمزة [١٧]، وهي سورة مكية بالإجماع [١٨]،وآياتها أربعون آية عند أهل الكوفة، وفي المصاحف المسندة لرواية ورش عن نافع والمسندة لرواية حفص عن عاصم. وهي تسع وثلاثون آية في المصاحف المسندة لرواية قالون عن نافع، والخلاف في قول الله تعالى: ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴾ (القيامة: ١٦).[١٩]

وسميت السورة في المصاحف وكتب التفسير باسم سورة (القيامة)؛ "لوقوع القسم بيوم القيامة في أولها، ولم يقسم به فيما نزل قبلها من السور"[٢٠]، وجاء في تفسير القاسمي أن تسميتها بذلك "لتضمنها غاية تعظيم ذلك اليوم".[٢١] ويقال لها سورة (لا أقسم)[٢٢]، على أن السيوطي – كما ذكر ابن عاشور[٢٣]– لم يذكرها في السور التي سميت بأكثر من اسم. وأثبت ابن عطية في تفسيره ما "روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: من سأل عن القيامة أو أراد أن يعرف حقيقة وقوعها فليقرأ هذه السورة".[٢٤]

---

[١٧] انظر: محمد الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور التونسي، ط١، مؤسسة التاريخ – بيروت – ١٤٢٠هـ، ٣١٢/٢٩، أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، دار الكتب العلمية – بيروت، ٦٠/١٩.

[١٨] انظر: أبو محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي: تفسير ابن عطية المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، دار ابن حزم، ص ١٩٢٢، ابن عاشور: التحرير والتنوير، ٣١٢/٢٩.

[١٩] انظر: شهاب الدين السيد محمود الألوسي: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، طبعة جديدة علق عليها محمد أحمد الأمد، عمر عبد السلام السلامي، دار إحياء التراث العربي – مؤسسة التاريخ العربي – بيروت، ٢١٠/٢٩.

[٢٠] ابن عاشور: التحرير والتنوير، ٣١٢/٢٩.

[٢١] محمد جمال الدين القاسمي، وقف على طبعه محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر – بيروت، ٣٤٧/١٥.

[٢٢] انظر: الألوسي: روح المعاني، ٢١٠/٢٩.

[٢٣] انظر: التحرير والتنوير، ٣١٢/٢٩.

[٢٤] المحرر الوجيز، ص ١٩٢٢.

وذكر بعض المفسرين مناسبة السورة للسورة قبلها، بأنه لـــمَّا جاء في قول الله تعالى ﴿ كَلَّا ۖ بَل لَّا يَخَافُونَ ٱلْأَخِرَةَ ﴿٥٣﴾ كَلَّآ إِنَّهُۥ تَذْكِرَةٌ ﴾ (المدثر: ٥٣-٥٤) إنكار البعث وعدم الخوف من أهوال يوم القيامة ذكر الله تعالى في السورة هذه وصفاً لذلك اليوم وأهواله وأحواله، فتظهر المناسبة بذلك بين السورتين.[٢٥]

والسورة بُنيت في موضوعاتها على أحوال يوم القيامة، وأحوال النفس البشرية، فهي "من المطلع إلى الختام تزاوج بين النفس وبين القيامة حتى تنتهي، وكأن المطلع إشارة إلى موضوع السورة، أو كأنه اللازمة الإيقاعية التي ترتد إليها كل إيقاعات السورة بطريقة دقيقة جميلة".[٢٦] فمن جملة موضوعات السورة إثبات البعث، وذكر أشراط يوم القيامة، واختلاف أحوال الإنسان بين حالي السعادة والشقاء، والتذكير بالموت وحقيقته التي لا مفر منها، مع التذكير بحقيقة النشأة الأولى.[٢٧]

وقد عمدت الدراسة إلى تقسيم آيات السورة إلى سبع مجموعات معنوية، اشتملت المجموعة الواحدة على عدد من الآيات المترابطة في دلالاتها بما يمكن توظيفه لاحقاً في جوانب الدراسة الآتية، وهذا بيان المجموعات:

١- المجموعة الأولى، وآياتها من مطلع السورة إلى الآية السادسة، وقد تضمنت الحديث عن القيامة والنفس، ومشهد النشأة الأخرى.
٢- المجموعة الثانية، وآياتها ممتدة بين السابعة والخامسة عشرة، وهي تدور حول أحداث يوم القيامة وموقف الإنسان في ذلك اليوم.
٣- المجموعة الثالثة، وهي أربع آيات معترضة، من السادسة عشرة حتى التاسعة عشرة، جاءت توجيهاً خاصاً للنبي صلى الله عليه وسلم.
٤- المجموعة الرابعة، وآياتها من الآية العشرين حتى الخامسة والعشرين، وصورت مشهد المؤمنين الناظرين لربهم، والمشهد المضاد له للكافرين الباسرة وجوههم.
٥-المجموعة الخامسة، وآياتها من السادسة والعشرين إلى الثلاثين، اختصت بالحديث عن حقيقة الموت.

---

[٢٥] انظر: محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان التوحيدي: تفسير البحر المحيط، دراسة وتحقيق د. عادل أحمد عبد الموجود وآخرون، دار الكتب العلمية- بيروت، ٣٧٥/٨.
[٢٦] سيد قطب: في ظلال القرآن، ط٤ – دار الشروق – القاهرة، ٣٧٦٦/٦.
[٢٧] انظر: ابن عاشور: التحرير والتنوير، ٣١٢/٢٩.

٦-المجموعة السادسة، وآياتها الخمس (٣١-٣٥) تتحدث عن المكذبين الذين يختالون بالمعصية والتولي، وقيل هي آيات نزلت في أبي جهل عمرو بن هشام.[٢٨]

٧-المجموعة السابعة، وتبدأ من الآية السادسة والثلاثين إلى نهاية السورة، وفيها الحديث حول حقيقة النشأة الأولى ودلالتها على صدق النشأة الأخرى.

[٢٨] انظر: ابن عطيه: المحرر الوجيز، ص ١٩٢٧، سيد قطب: في ظلال القرآن، ٣٧٧٣/٦.

المبحث الأول:

عن الدلالة الصوتية للأصوات التركيبية:

١- دلالة تكرار الأصوات:

عمدت بعض الدراسات الصوتية إلى الوقوف على أسباب شيوع صوت لغوي ما وكثرة دورانه وقلة شيوع الآخر، وربط ذلك بالملامح التمييزية للأصوات، وبالدلالة الصوتية للسياق اللغوي، مع ملاحظة اختلاف هذه الدراسات قديمها وحديثها، حيث قامت بعضها على أساس إحصاء الحرف، كما فعل ابن منظور في مقدمة معجمه.[٢٩] والدكتور علي حلمي موسى في دراسته لإحصاء جذور مفردات العربية، كما جاءت في الصحاح[٣٠] على حين جاءت الدراسات الأخرى على أساس الصوت اللغوي بقسميه: الصائت والصامت، كما ينطق كتب أو لم يكتب، وهذا ما فعله الدكتور الخولي في دراسته لشيوع الأصوات[٣١]، وغيره من الباحثين.[٣٢]

ويمكن الحديث عن تكرار الأصوات اللغوية بقسميها في سورة القيامة على النحو الآتي:

أولاً: الصوائت:

جدول رقم (١)

م	الصائت ورمزه	عدد مرات التكرار في السورة	النسبة المئوية
١	الفتحة المرققة a	١٩٣	٤٢.٤٢
٢	الفتحة المفخمة a	٣٩	٨.٥٧
٣	الكسرة i	٨٦	١٨.٩٠
٤	الضمة u	٥٣	١١.٦٥
٥	ألف المد المرققة a:	٦٤	١٤.٠٧
٦	ألف المد المفخمة a:	٩	١.٩٨
٧	ياء المد i:	٦	١.٣٢
٨	واو المد u:	٥	١.٠٩
	المجموع	٤٥٥	١٠٠

من الجدول السابق يلاحظ الآتي:

---

[٢٩] انظر: لسان العرب، تحقيق عبد الله علي الكبير وآخرين، دار المعارف – القاهرة، ص ١٨.

[٣٠] انظر: دراسة إحصائية لجذور معجم الصحاح (باستخدام الكمبيوتر) – الهيئة المصرية العلمية للكتاب – ١٩٧٨م.

[٣١] انظر: الأصوات اللغوية، ط١ – مكتبة الخريجي – الرياض، ص ١١٤.

[٣٢] انظر: فاطمة حجازي: الأصوات اللغوية وتنوعاتها في القرآن الكريم (دراسة إحصائية تحليلية لسورة آل عمران) متاح على revue.ummto.dz، تاريخ الدخول ٢٠١٩/١١/١٠.

١- احتل الصائت القصير الفتحة المرققة (a) أعلى نسبة تكرار في صوائت السورة، بنسبة (٤٢.٤٢)، يليه الكسرة (i)، بنسبة (١٨.٩٠)، فألف المد المرققة، بنسبة (١٤.٠٧)، ثم الضمة (u)، بنسبة (١١.٦٥)، فالفتحة المفخمة (a)، بنسبة (٨.٥٧).

٢- جاءت في المراتب الثلاث الأخيرة الصوائت الطويلة المتبقية هكذا: ألف المد المفخمة، فياء المد، ثم واو المد بتفاوت بسيط بينها: (١.٩٨ – ١.٣٢ – ١.٠٩).

٣- جاءت الفتحة المرققة أكثر الصوائت تكراراً، ولعل ذلك يعود إلى ما أدركه أسلافنا من أن الفتحة أخف الحركات القصيرة، وكذلك ألف المد المرققة وردت أكثر من بقية أصوات المد، ومن المعلوم أنه لا فرق بين الصائت القصير والطويل إلا في الكم الزمني كما هو مقرر عند أسلافنا، وفي معظم الدراسات الحديثة.[٣٣] وهذا يعني أن الفتحة بنوعيها القصيرة والطويلة أكثر دوراناً من بقية الصوائت. وإن كانت الفتحة تدل على الكبر والضخامة[٣٤]، فإن صدارتها في التكرار بين الصوائت في السورة قد يستدل به على الأمر العظيم، والحدث الضخم الذي تدور حوله السورة، وهو يوم القيامة وما فيه من أهوال، فقد ذكر ابن عاشور أنه في "تفسير ابن عطية عن عمر بن الخطاب ولم يسنده: أنه قال: "من سأل عن القيامة أو أراد أن يعرف حقيقة وقوعها فليقرأ هذه السورة."[٣٥] يقصد سورة القيامة.

٤- يمكن مقارنة نتائج هذه الدراسة بما ورد عند الدكتور الخولي[٣٦] حين تحدث عن شيوع الصوائت، حيث ظهر الاتفاق بينهما في الترتيب التنازلي للصوائت الآتية: (u: – i: – u – a: – i – a)، بإسقاط الفتحة المفخمة القصيرة والطويلة، التي لم ترد في دراسته، لاعتماده على عينة لغوية مكتوبة، على حين أن الدراسة هنا تقوم على الأداء القرآني المنطوق، المعتمد على الأحكام التجويدية.

٥- وردت الفتحة المفخمة متأخرة في الترتيب لسببين: الأول أنها صائت فرعي ناشئ عن الفتحة المرققة، والثاني أن التفخيم مرتبط بالأصوات المستعلية (خص ضغط قظ)، وبمواضع تفخيم اللام والراء حسب ما تنص عليه الأحكام التجويدية.

---

[٣٣] انظر: الباحثة: الكم الزمني لأصوات المد في القرآن الكريم، رسالة دكتوراه – جامعة الملك عبد العزيز – ١٤٢٧هـ، ص ٤٢-٤٨.

[٣٤] انظر: محمد مفتاح: في سيمياء الشعر القديم، دار الثقافة – الدار البيضاء – ١٩٨٩، ص ٧٤.

[٣٥] التحرير والتنوير، ٣١٣/٢٩، المحرر الوجيز، ص ١٩٢٢.

[٣٦] انظر: الأصوات اللغوية، ص ١٤١-١٤٦.

٦-صنفت الدراسة الصوائت حسب التصنيفات المقررة في علم الصوتيات على مربع دانيال جونز[٣٧]، فجاءت نسبة الشيوع لها على النحو الآتي:

جدول رقم (٢)

م	نوع الصائت	رمزه	عدد مرات التكرار	النسبة المئوية
١	أمامي – منفرج خلفي – مستدير	a-a:/i-i: a-a:/u-u:	٣٤٩ ١٠٦	٧٦.٧٠ ٢٣.٣٠
٢	ضيق واسع	i-i:/u-u: a-a:/a-a:	١٥٠ ٣٠٥	٣٢.٩٧ ٦٧.٠٣
٣	قصير طويل	a-a-u-i a:-a:-u:-i:	٣٧١ ٨٤	٨١.٥٤ ١٨.٤٦

بنظرة فاحصة في الجدول السابق يتضح الآتي:

١-الصوائت الأمامية المنفرجة أكثر وروداً من الصوائت الخلفية المستديرة، ويمكن تعليل ذلك بأن صفتي الأمامية والانفراج من صفات السهولة، وأن الخلفية والاستدارة من صفات الثقل، حيث إن حركة مؤخر اللسان ارتفاعاً أو انخفاضاً تتطلب جهداً عضلياً أكثر من حركة مقدم اللسان، وكذلك الحال في وضع الشفتين استدارة وانفراجاً، فإن تقليل انفتاح الشفتين يؤدي إلى خفض نغمة الحجرة الفموية، فيصبح جرس الصوت أقل وأضعف.[٣٨]

٢-الصوائت الواسعة أكثر وروداً من الصوائت الضيقة، ويعود ذلك إلى أن الصائت الواسع أسهل نطقاً من الصائت الضيق، يؤيد ذلك ترتيب الصوائت تصاعدياً في درجة الوضوح السمعي هكذا: العلل الضيقة – العلل الواسعة[٣٩]، فيمكن تعليل تفاوت الأصوات في شيوعها بتفاوتها في الوضوح السمعي، فكلما زاد الوضوح السمعي للصوت استأثر بالأفضلية في الاستعمال والشيوع.[٤٠]

٣-الصوائت القصيرة أكثر وروداً من الصوائت الطويلة، ولعل السبب في ذلك[٤١]:

---

[٣٧] انظر في ذلك: د. عبد العزيز علام و د. عبد الله ربيع: علم الصوتيات، ص ٢٣٢-٢٤٤.

[٣٨] انظر: د. سمير استيتية: الصوات اللغوية – رؤية عضوية ونطقية وفيزيائية، ط١ – دار وائل – عمان – ٢٠٠٣، ص ٢١٦.

[٣٩] انظر: د. أحمد مختار عمر: دراسة الصوت اللغوي، ص ٨٨، والوضوح السمعي طاقة الصوت النطقية التي تجعل الصوت واضحاً للسامع، وهذه الطاقة تتأثر بعوامل عديدة انظر: د. سمير استيتية: الأصوات اللغوية، ص ١٦٩-١٩١.

[٤٠] انظر: مهدي عناد أحمد: التحليل الصوتي للنص – بعض قصار سور القرآن الكريم أنموذجاً، رسالة ماجستير – كلية الدراسات العليا – جامعة النجاح – فلسطين – ٢٠١١م، ص ٤٢.

[٤١] انظر: للباحثة: الكم الزمني للصوائت القصيرة في سورة الطارق – دراسة صوتية معملية، ضمن أبحاث المؤتمر الدولي السادس للغة العربية – المجلس الدولي للغة العربية – ٢٠١٧م/١٤٣٨هـ، ص ١٦٠-١٦٨.

أ- الجذر الثلاثي مبني على (ف – ع – ل) المكون من ثلاثة مقاطع قصيرة (ص ح)، يشتمل كل منها على صائت قصير، والجذر الثلاثي أكثر وروداً من الثنائي والرباعي والخماسي.

ب- الجذر الثلاثي الصحيح أكثر وروداً من الثلاثي الأجوف والناقص.

ج- الصوائت القصيرة تمثل العلامة الإعرابية الأصلية في النحو العربي، أما الصوائت الطويلة فتمثل حركات إعراب فرعية في مواضع محددة.

د- حركية الكلمة العربية وحيويتها عندما تشيع فيها الصوائت القصيرة أكثر منها عندما تشتمل على صوائت طويلة. يقول ابن جني: "اعلم أن هذا موضع شريف لطيف، وقد نبه عليه الخليل وسيبويه، وتلقته الجماعة بالقبول له والاعتراف بصحته. قال الخليل: كأنهم توهموا في صوت الجندب استطالة ومداً فقالوا: صَرَّ، وتوهموا في صوت البازي تقطيعاً فقالوا: صَرْصَرَ".(٤٢)

ه- الصوائت الطويلة أصعب في النطق من القصيرة، لكونها بمثابة صائتين قصيرين، حيث إن الفرق بين حركة قصيرة وأخرى طويلة هو تقريباً مضاعفة القصيرة أو أكثر. ومن المعلوم ميل العربية إلى السهولة والخفة؛ ولذا وردت الصوائت القصيرة أكثر من الطويلة.

٤-بمقارنة النتيجة الواردة في الجدول بما ورد عند الدكتور الخولي في دراسة شيوع الصوائت حسب تصنيفاتها، ظهر الاتفاق في نسبة شيوع الصوائت المنفرجة والمستديرة، بشيوع الأولى أكثر من الثانية، وفي نسبة شيوع الصوائت القصيرة والطويلة، بتكرار ورود القصيرة أكثر من الطويلة. أما التصنيفان الآخران بمراعاة الأمامية والخلفية، وبمراعاة الاتساع والضيق فقد اختلفت النتائج، لاختلاف مناط التقسيم عنده عن التقسيم المشهور بين علماء الصوتيات على أساس مربع دانيال جونز والذي سارت عليه الدراسة.

٥-بالربط بين السهولة والشيوع يتبين أن الصوت الأسهل يميل إلى أن يكون الصوت الأكثر شيوعاً، وذلك على النحو الآتي:

(٤٢) الخصائص، ١٥٢/٢.

الصائت ← أسهل نطقاً من ← الصائت

الأمامي		الخلفي
المنفرج	أكثر شيوعاً	المستدير
المتسع	وتكراراً	الضيق
القصير		الطويل

ثانياً: الصوامت:

من خلال الجدول رقم (٣) أدناه يمكن الوقوف على نسبة شيوع الصوامت في السورة الكريمة، مرتبة ترتيباً تنازلياً، وذلك على النحو الآتي:

جدول رقم (٣)

م	الصامت ورمزه		عدد مرات التكرار	النسبة المئوية %
١	اللام	L	٧٩	١٢.٧
٢	النون	n	٧١	١١.٤١
٣	الهمزة	ʔ	٤٩	٧.٨٨
٤	الميم	m	٤٦	٧.٤٠
٥	الواو	w	٣٩	٦.٢٧
٦	الياء	y	٣٦	٥.٧٩
٧	الباء	b	٣٦	٥.٧٩
٨	الراء	r	٣٦	٥.٧٩
٩	الهاء	h	٣٢	٥.١٤
١٠	السين	s	٢٨	٤.٥٠
١١	القاف	q	٢٦	٤.١٨
١٢	التاء	t	٢١	٣.٣٨
١٣	الفاء	F	٢٠	٣.٢٢
١٤	الكاف	k	١٨	٢.٨٩
١٥	العين	ʕ	١٦	٢.٥٧
١٦	الذال	đ	١٦	٢.٥٧
١٧	الجيم	g	١١	١.٧٧
١٨	الدال	d	٨	١.٢٩
١٩	الحاء	□	٦	٠.٩٦
٢٠	الخاء	X̣	٥	٠.٨٠
٢١	الثاء	θ	٥	٠.٨٠
٢٢	الظاء	θ̣	٤	٠.٦٤
٢٣	الصاد	ṣ	٤	٠.٦٤
٢٤	الطاء	□	٣	٠.٤٨
٢٥	الزاي	z	٣	٠.٤٨
٢٦	الشين	ʃ	٢	٠.٣٢
٢٧	الضاد	□	١	٠.١٦
٢٨	الغين	□	١	٠.١٦

من الجدول السابق يتضح للقارئ ما يأتي:

١-ترتيب الصوامت جاء وفق نسبة شيوعها، فوردت اللام أكثر الصوامت شيوعاً.

٢-النون احتلت المرتبة الثانية، والميم المرتبة الرابعة، وقد يعلل شيوع هذه الصوامت الثلاثة بأنها "أكثر الأصوات الساكنة وضوحاً وأقربها إلى صيغة أصوات اللين، ولذا

يميل بعضهم إلى تسميتها أشباه أصوات اللين."[٤٣] أي أنها أوضح الصوامت في لغتنا العربية. ولذا يمكن القول بأن هذه السورة ذات وضوح سمعي عالٍ، لعلو نسبة الصوامت العالية الوضوح فيها، ففيها من الصوامت الرنانة اللام والنون والميم بالإضافة إلى الراء (٢٣٢) صامتاً بنسبة ٥٠.٩٩% من مجموع الصوامت الواردة في الآيات المدروسة.

٣-الهمزة جاءت في المرتبة الثالثة قبل الميم في نسبة الشيوع، وقد يعلل ذلك بأن هذا الصامت المشتمل على عدد من الملامح التمييزية الواضحة يشعر بهول ما ورد في السورة من موضوعات يجب الوقوف عندها والتنبه لها، "إنها تحشد على القلب البشري من الحقائق والمؤثرات والصور والمشاهد والإيقاعات واللمسات ما لا قبل له بمواجهته ولا التفلت منه، تحشدها بقوة في أسلوب خاص، يجعل لها طابعاً قرآنياً مميزاً".[٤٤] ومن هذا الطابع القرآني المميز كثرة ورود صوت الهمزة، هذا الصامت الانفجاري القوي، الخارج من أولى المخارج الصوتية، الذي سماه أسلافنا الحرف الجرسي؛ لعلو الصوت عند النطق به، إذ أن "الجرس في اللغة الصوت، فكأنه الحرف الصوتي، أي المصوت به عند النطق، وكل الحروف يصوت بها عند النطق بها، لكن الهمزة لها مزية زائدة في ذلك".[٤٥] وهذا التميز الصوتي لها يمكن توظيفه دلالياً في ورود الاستفهام بالهمزة في الآيات الكريمة، وهو استفهام تقريري يغلب "أن يقع على نفي ما يراد إثباته ليكون ذلك كالتوسعة على المقرَّر إن أراد إنكاراً، كناية عن ثقة المتكلم بأن المخاطب لا يستطيع الإنكار".[٤٦]

٤-الصوامت الأربعة الأولى أكثر شيوعاً من بقية الصوامت في القرآن الكريم، وهذا متفق نسبياً مع نسبة الشيوع الواردة عند الدكتور إبراهيم أنيس حيث إن "نسبة شيوع اللام ١٢٧ مرة في كل ألف من الأصوات الساكنة، والميم ١٢٤، والنون ١١٢، والهمزة ٧٢ مرة".[٤٧]

---

[٤٣] د. إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية، مكتبة الأنجلو المصرية – القاهرة – ١٩٩٢م، ص ٢٧.
[٤٤] سيد قطب: في ظلال القرآن، ٣٧٦٦/٦.
[٤٥] أبو محمد مكي بن أبي طالب القيسي: الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة، تحقيق د. أحمد حسن فرحات، ط٣ – دار عمار – الأردن – ١٤١٧، ص ١٣٣.
[٤٦] ابن عاشور: التحرير والتنوير، ٣٤١/٢٩.
[٤٧] الأصوات اللغوية، ص ٢٣٨.

٥-النون والميم صوتان أغنّان، فوردا معاً في السورة (١١٧) مرة بنسبة (٢٥.٧١)، بما يعادل ربع صوامت السورة، ولا يخفى ما في صوت الغنة من جرس إيقاعي محبب للأذن تطرب له عند سماعه، علاوة على أن الغنة تعطي الحرف قوة[٤٨] وهي "صوت دال على الالتزام ومكابدة الأمر.[٤٩] وهذه الدلالة تتناسب مع ما ورد في السورة من موضوعات، عالجت بها "عناد هذا القلب وإعراضه وإصراره ولهوه، وتشعره بالجد الصارم الحازم في هذا الشأن، شأن القيامة وشأن النفس وشأن الحياة المقدرة بحساب دقيق ثم شأن هذا القرآن الذي لا يخرم منه حرف، لأنه من كلام العظيم الجليل، الذي تتجاوب جنبات الوجود بكلماته، وتثبت في سجل الكون الثابت وفي صلب هذا الكتاب الكريم".[٥٠]

٦-الواو والياء، ويطلق عليهما أشباه أصوات اللين، لاشتمالهما عند النطق على حفيف ضعيف، جعلهما أشبه بالأصوات الساكنة[٥١] قد وردتا بنسبة عالية نسبياً في السورة، حيث وردت الواو (٣٩) مرة بنسبة ٦.٢٧%، والياء (٣٦) مرة بنسبة ٥.٧٨% . هذا الورود زاد من الوضوح السمعي في السورة خاصة إذا نظرنا إلى موضع اللسان معهما، فيكونان أشبه بصوتي الحركة على التوالي (i-u).

٧- الباء الصامت الشفوي الانفجاري المجهور قد تكرر (٣٦) مرة بنسبة ٥.٧٨%، وهو يدل على "بلوغ المعنى في الشيء بلوغاً تاماً"[٥٢]، هذا البلوغ الذي يجده القارئ حاضراً في ثنايا السورة، بدءاً من التلويح بالقسم مع العدول عنه لإبراز المعنى المراد ﴿ بِيَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ ﴾ و﴿ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ ﴾، ومروراً بالبلوغ التام في تسوية ﴿ بَنَانَهُۥ ﴾ تسوية لا ينقص منه شيء، واعتراضاً بتكفل الله التام بشأن هذا القرآن: وحياً وحفظاً وجمعاً وبياناً ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ... ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴾، ثم مقارنة بين الفريقين وبلوغ كل منهما للنهاية المحتومة:

---

[٤٨] انظر: مكي بن أبي طالب: الرعاية، ص ١٣١.
[٤٩] محمد فريد عبد الله: الصوت اللغوي ودلالاته في القرآن الكريم، ط١ – دار الهلال – بيروت – ٢٠٠٨م، ص ١٣٩.
[٥٠] سيد قطب: في ظلال القرآن، ٣٧٦٧/٦.
[٥١] انظر: د. إبراهيم أنيس: الصوات اللغوية، ص ٤٢.
[٥٢] عبد الله العلايلي: مقدمة لدرس لغة العرب وكيف نضع المعجم الجديد، المطبعة العصرية، ص ٢١٠.

وجوه فريق ﴿ إِلَىٰ رَبِّهَا ﴾ تنظر، ووجوه الفريق الآخر ﴿ بَاسِرَة ﴾ ماذا ﴿ يُفْعَلَ بِهَا ﴾، ثم تهكماً وسخرية بمن ﴿ كَذَّب ﴾ ثم ﴿ ذَهَبَ ﴾ ليتعاجب تعاجباً ثقيلاً، وانتهاء بتأكيد أن الحق سبحانه ﴿ بِقَدِرٍ ﴾ على النشأة الأخرى.

٨-الصوامت المطبقة (الظاء – الصاد – الطاء – الضاد) قد وقعت في ذيل القائمة، ولعل السبب في ذلك أن الإطباق يحتاج إلى جهد عضلي، حيث "يلتقي مقدم اللسان مع ما يحاذيه من الحنك الأعلى، إما بالغلق المحكم، كما في الطاء، أو بالتضييق الذي يسمح معه للهواء بالمرور، كما في الصاد والظاء، أو بالغلق في مكان، والتضييق في آخر، كما في الضاد الفصيحة. وفي الوقت ذاته يتم التقاء خلفي، وذلك بارتفاع مؤخر اللسان إلى الحنك الأعلى بحيث يتكون بينهما ممر ضيق، وهكذا تكون صورة اللسان: ارتفاع من الخلف، وارتفاع من الأمام، ويعقب ذلك انخفاض في وسطه، أو تقعر فيصبح مثل الطبق".[٥٣] لهذه الكيفية النطقية ذات الجهد العضلي المبذول فيها ابتعدت العربية التي تنشد السهولة والخفة عن شيوع هذه الأصوات فيها.

٩-بقية الصوامت قد تباينت نسبة تكرارها وشيوعها حسب ما هو موضح في الترتيب التنازلي لها الوارد في الجدول.

١٠- بمقارنة نتائج هذا الجدول مع نتائج الدراسة عند الدكتور الخولي في كتابه الأصوات اللغوية[٥٤] تبين الاتفاق العام بين النتائج، حيث تصدرت القائمة في الدراستين: اللام – النون – الهمزة – الميم، مع اختلاف الترتيب بتقديم الهمزة على الميم عند الدكتور الخولي، وكذلك الأمر على الصوامت المطبقة فقد وقعت في آخر الجدول، باختلاف ترتيبها عما ورد في هذه الدراسة هكذا: (الطاء – الصاد – الضاد – الظاء). وبناء على ذلك يمكن القول بأن هذه الإحصاءات ذات قيمة دلالية؛ لأنها اتفقت مع ما عليه سائر اللغة العربية، الذي نزل القرآن الكريم بها، وعجز أصحابها عن الإتيان بمثله، إنه كتاب معجز تجلت جوانب إعجازه في صور شتى متعددة.

[٥٣] د. عبد العزيز علام: عن علم التجويد القرآني في ضوء الدراسات الصوتية الحديثة، ط١ – ١٤١٠هـ، ص ٨٩.
[٥٤] انظر: ص ١١٧-١٢٠.

٢- دلالة صفات الأصوات (الجهر والهمس):

الجهر والهمس من صفات الأصوات الصامتة المتضادة أو المزدوجة، فتكون الصوامت إما مجهورة أو مهموسة، ويتحدد ذلك على أساس وضع الوترين الصوتيين في الحنجرة، فالجهر هو اهتزاز الوترين الصوتيين، والهمس عكسه أي عدم اهتزازهما. والصوامت المهموسة في العربية قد جمعها أسلافنا في قولهم "سكت فحثه شخص"، وأضافت الدراسات الحديثة عليها صوتي الطاء والقاف. والصوامت المجهورة هي بقية الصوامت عدا المهموسة والهمزة، حيث إن الهمزة صوت لا هو بالمهموس ولا بالمجهور.[٥٥]

ويختلف الصوت اللغوي قوة وضعفاً من خلال الجهد العضلي الذي يبذله الجهاز النطقي لإنتاجه، فالصوت الأقل جهداً يحظى بالأفضلية من غيره الأكثر جهداً، "ونطق الصوامت المهموسة يحتاج عادة إلى جهد عضوي أقوى من الذي يستدعيه نطق الصوامت المجهورة."[٥٦] فالهمس يحتاج إلى قدر كبير من هواء الرئتين، فتكون الصوامت المهموسة مجهدة للتنفس[٥٧]، فتحمل محمل ضعف يكسب الصوت خفاء في النطق، على خلاف الصوامت المجهورة الأقل جهداً في النطق، فتحمل ملمح قوة يكسب الصوت ظهوراً في النطق، إذ إن الصوامت المجهورة أوضح في السمع من الصوامت المهموسة.[٥٨] كما أن معدل سرعة الهواء في الأصوات المجهورة يبلغ من ٢٠٠-٧٠٠ سم^{٣}/ث، بينما يكون في المهموسة ما بين ٢٠٠-٣٠٠ سم^{٣}/ث، مما يؤكد أن الأصوات المجهورة أقوى في الوضوح السمعي من نظائرها المهموسة[٥٩]، وهذا الوضوح يكسب اللغة موسيقيتها ورنينها الذي تطرب له النفس وتلذ له الآذان.

وللملامح التمييزية – كالجهر والهمس – المشكلة للصوت اللغوي أثر في الجرس الصوتي، وهذا الأثر النطقي والسمعي لصفتي الجهر والهمس يتفق مع دلالتهما اللغوية، فمادة (ج – هـ – ر) تدور حول الإعلان والظهور[٦٠]، ومادة (هـ – م – س) تدل على

---

[٥٥] انظر في ذلك: د. عبد العزيز علام و د. عبد الله ربيع: علم الصوتيات، ص ٢٦٤، د. إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية، ص ٩٠، د. أحمد مختار عمر: دراسة الصوت اللغوي، ص ١٢٧.

[٥٦] د. محمود السعران: علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، دار النهضة العربية – بيروت، ص ١٥٢.

[٥٧] انظر: د. إبراهيم أنيس: موسيقى الشعر، ط٦، مكتبة الأنجلو المصرية – القاهرة – ١٩٨٨، ص ٣٢.

[٥٨] انظر: د. إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية، ص ٢٧.

[٥٩] انظر: سمير استيتية: الأصوات اللغوية، ص ١٧٣.

[٦٠] انظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة ج - هـ - ر.

الخفاء وعدم الظهور.[٦١] وقد أدرك ابن جني ذلك حين قال: "ولأجل ما ذكرنا من اختلاف الأجراس في حروف المعجم باختلاف مقاطعها، التي هي أسباب تباين أصدائها، ما شبّه بعضهم الحلق والفم بالناي، فإن الصوت يخرج فيه مستطيلاً أملس ساذجاً، كما يجري الصوت في الأنف غُفْلاً بغير صنعة، فإذا وضع الزامر أنامله على خروق الناي المنسوقة، وراوح بين عمله اختلفت الأصوات، وسُمع لكل خرق منها صوت لا يشبه صاحبه، فكذلك إذا قُطع الصوت في الحلق والفم باعتماد على جهات مختلفة كان سبب استماعنا هذه الأصوات المختلفة".[٦٢] وملمح الجهر والهمس هو ما ستقف معه الدراسة لبيان أثر دلالتهما المتقابلتين على الصوامت الواردة في السورة موضع الدراسة، وذلك على النحو الآتي:

م	صفة الصامت	عدد مرات التكرار	النسبة المئوية %
١	الجهر	٤٠٣	٦٤.٧٩
٢	الهمس	١٧٠	٢٧.٣٣
٣	ما ليس بمهموس ولا مجهور	٤٩	٧.٨٨

جدول رقم (٤)

يلاحظ من الجدول رقم (٤) السابق ما يأتي:

١- مجموع الصوامت المجهورة في السورة (٤٠٣)، بنسبة ٦٤.٧٩%.

٢- مجموع الصوامت المهموسة التي تكررت في السورة (١٧٠)، بنسبة ٢٧.٣٣%.

٣- صوت الهمزة الذي يوصف بأنه لا مجهور ولا مهموس ورد (٤٩)، بنسبة (٧.٨٨).

٤-ترتيب الصوامت بمراعاة صفتي الجهر والهمس هو: المجهورة، فالمهموسة، ثم ما ليس بمهموس ولا مجهور، وهذا أمر متوقع على أساس أن الصوامت المجهورة هي خمسة عشر صامتاً في مقابل اثني عشر صامتاً مهموساً، وتكون الهمزة قسماً قائماً برأسه، وهذا يتفق مع ما ذكره الدكتور إبراهيم أنيس من أن الصوامت المهموسة "قليلة الشيوع في الكلام، لأن خمس الكلام يتكون عادة من أحرف مهموسة، وباقي الكلام أحرف مجهورة".[٦٣] وهذا الترتيب يتناسب مع أغراض السورة، ذات المعاني الواضحة الظاهرة التي يريد الحق سبحانه إعلانها لكل من تشكك فيها، فقد اشتملت

---

[٦١] انظر: السابق، مادة هـ - م - س.

[٦٢] سر صناعة الإعراب، دراسة وتحقيق د. حسن هنداوي، ط١ – دار القلم – دمشق – ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م، ١/٨-٩.

[٦٣] موسيقى الشعر، ص ٣٢.

على إثبات البعث والتذكير بيوم القيامة، وذكر أشراطه، وإثبات الجزاء، واختلاف أحوال الناس سعادة وشقاء، ثم التذكير بأول مراحل الآخرة الموت.[٦٤] لقد عالجت السورة الكريمة القلب البشري في إعراضه عن الحق، بخطاب واضح يبرز حقيقة القيامة، والنفس، والحياة بداية ونهاية.

٥- بإعادة النظر في الآيات المدروسة يتبين أن عدد الصوامت المجهورة في الآية الواحدة أكبر من الصوامت المهموسة فيها، وهذا ما يؤكد ما سبق ذكره في رقم (٤) ويستثنى من ذلك:

- الآية ﴿ وَخَسَفَ ٱلۡقَمَرُ ۝٨ ﴾، حيث تساوت الصوامت المجهورة والمهموسة فيها: (ر – ل – م – و) مجهورة، و (خ – س – ف – ق) مهموسة. هذا التساوي قد يستدل به على أن خفاء ضوء القمر كله، أو بعضه هو خفاء معلن جُلي مستمر، بسبب "تزلزله من مداره حول الأرض الدائرة حول الشمس، بحيث لا ينعكس عليه نورها، ولا يلوح للناس نيّراً، وهو ما دل عليه قوله ﴿ وَجُمِعَ ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ ﴾ فهذا خسوف ليس هو خسوفه المعتاد".[٦٥]

- الآية ﴿ وَٱلۡتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ ۝٢٩ ﴾، فالصوامت فيها ثلاثة عشر صامتاً أغلبها مهموسة (ت – ف – ق) بتكرار ثنائي لكل منها، والسين الواردة أربع مرات فيها، والصوامت الثلاثة الباقية (ب – ل – و) صوامت مجهورة، وقد وردت الآية في مشهد الاحتضار، ذلك المشهد المهيب المصور حالة الجزع، حين يتلوى الإنسان من سكرات الموت، ويلتف ساقا المحتضر بعد موته، فتخفى في الأكفان حال حشرجة النفس، فهو موقف خفاء وانتهاء ناسبه غلبة الصوامت المهموسة دون المجهورة. كما يلاحظ هذا التكرار لكلمة (الساق) ذات الصوامت المهموسة التي تحمل ملمح الضعف، فقد يكون الالتفاف على ظاهره بالتفافهما لشدة المرض وما حل به من ضعف، فهو يركب هذه على هذه، أو يكون المعنى على المجاز باجتماع أمر الدنيا بأمر الآخرة: الدنيا في آخر يوم منها، والآخرة في أول يوم منها، وباجتماع الإنس والملائكة: مَنْ حوله يجهزونه للقبر،

[٦٤] انظر: ابن عاشور: التحرير والتنوير، ٢٩/٣١٢-٣١٣.
[٦٥] السابق، ٢٩/٣١٩-٣٢٠.

والملائكة يجهزون روحه إلى السماء.[٦٦] هذه الصوامت المكررة المهموسة تصور الضعف الذي يكون عليه الإنسان، وما وصلت إليه حاله في ذلك المشهد، فبطلت الحيلة، وعجزت الوسيلة، ولم يكن هناك إلا طريق واحد يساق له ابن آدم فيكون ﴿ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمَسَاقُ ﴾.

٣- القيمة التعبيرية للصوت التركيبي:

الصوت التركيبي هو حجر الأساس في تحقيق المعنى، بقسميه الأساسيين: الصوائت والصوامت، فلكل منهما دوره في أداء دلالات معينة في التشكيل الصوتي. ولعل اهتمام أسلافنا بالصوائت الطويلة والصوامت قد ظهر جلياً، على حين لم تحظ الصوائت القصيرة بذلك؛ ولعل السبب في ذلك أنهم "تعاملوا معها كما لو كانت شيئاً عارضاً أو تابعاً للحروف (الأصوات الصامتة) ليس لها استقلال أو كيان خاص؛ نلمس هذا من جملة ما صنعوا معها، بل عدّها بعضهم "زوائد"، ليست أصلاً في بناء الكلمة"[٦٧]، ولذا فإن للصوت التركيبي قيمته في تغيير الدلالة، وهذا ما وقفت معه الدراسة في السورة من خلال ما ورد فيها من قراءات قرآنية يمكن توجيهها توجيهاً صوتياً على النحو الآتي:

١- مد الصائت أو قصره:

بدئت السورة بالقسم بيوم القيامة، وبالنفس اللوامة؛ لتأكيد أن البعث حق لا ريب فيه، والقارئ لكتب التفسير يجد اختلاف القول بين المفسرين في بيان (لا) الداخلة على الفعل (أقسم)، فقيل: إن (لا) زائدة، لتوكيد القسم، أو نافية للقسم، أو نفي لكلام المشركين المنكرين تقدم ذكره، ثم ابتدأ فقال: (أقسم)[٦٨]، وقرئ (لأقسم بيوم القيامة) بلام بعدها همزة بدون ألف، وتعدد التوجيه النحوي لتلك القراءة، فقيل: جواب لقسم مقدر؛ تقديره: والله لأقسم، ولم يتصل نون التوكيد لأن الفعل للحال، هذا عند الكوفيين، والبصريون

---

[٦٦] انظر: أبو حيان: البحر المحيط، ٣٨١/٨.

[٦٧] د. كمال بشر: علم الأصوات، دار غريب – القاهرة – ٢٠٠٠م، ص ٤٢٦-٤٢٧.

[٦٨] انظر في ذلك: القرطبي: الجامع لحكام القرآن، ٦٠/١٩-٦١، أبو السعود محمد بن محمد العمادي: تفسير أبي السعود المسمى إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، ط٤ – دار إحياء التراث العربي – بيروت – ١٤١٤هـ، ٦٤/٧.

يجعلون الفعل خبراً لمبتدأ محذوف، أي والله لأنا أقسم، أو أن اللام للابتداء، وليست للقسم، فائدتها التوكيد [٦٩]

هذا من الجانب النحوي الدلالي، والسؤال: ما أثر تلك القراءتين على الجانب الصوتي؟

قراءة (لأقسم) بلام مفتوحة، بعدها الهمزة، يلاحظ فيها أن التركيب المقطعي يكون هكذا: La–ʔ uq–si–mu، حيث إن المقطع (La) قصير، وجزء من الكلمة الصوتية، فلا يقع عليه النبر بل يكون النبر الرئيسي على المقطع المتوسط المغلق (ʔ uq)، كما أن الفاصل الزمني بين المقطعين (La–ʔ uq) فاصل قصير، لأنهما بمثابة مقطعين في كلمة. أما قراءة (لا أقسم) بإثبات الألف بعد اللام، فيترتب عليها أن التركيب المقطعي يكون هكذا: La:/ uq–si–mu مكون من كلمتين، يطول الفاصل الزمني بينهما، لأنهما كلمتان، إضافة إلى تنفيذ حكم المد الجائز المنفصل. كذلك يقع النبر على (La:)، وعلى المقطع (uq) بما يؤيد علة المد بصون صوت المد من السقوط والحذف، ذلك أن استعداد أعضاء النطق لنطق الصوت التالي الصعب وهو الهمزة قد يعرض صوت المد للحذف عند عدم المد والإشباع.[٧٠] وهذا الامتداد الصوتي لصوت المد يكون الهواء فيه ماراً بالفم حراً طليقاً، لا يعوقه عائق في أثناء النطق به، ثم يأتي بعده صوت الهمزة الصوت الانفجاري، والذي يستشعر القارئ عظمته، كونه يعود على الله تعالى، ويكون المقسم به من الأمور الثابتة اليقينية – هذا الامتداد – قد يراد به التلويح بالقسم مع العدول عنه، فيكون "أوقع في الحس من القسم المباشر، وهذا الوقع هو المقصود من العبارة، وهو يتم أحسن تمام بهذا الأسلوب الخاص، الذي يتكرر في مواضع مختلفة من القرآن، ثم تبرز من ورائه حقيقة القيامة وحقيقة النفس اللوامة".[٧١] ويعاون هذا الامتداد الصوتي تنغيم القسم، الذي يثير في الذهن أهمية المقسم به، وعظم شأن المقسم سبحانه وتعالى، يزيد هذه الأهمية الإطناب في الآيتين بتكرار الفعل (أقسم)، تنبيهاً لمكانة المقسم به عند المقسم جل وعلا.

---

[٦٩] انظر في ذلك" ابن عاشور: التحرير والتنوير، ٣١٤/٢٩، محمود بن عمر الزمخشري: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، رتبه وصححه مصطفى حسين أحمد، دار الكتاب العربي – بيروت – ١٣٦٦، ٦٥٨/٤-٦٥٩.

[٧٠] انظر: محمد مكي نصر: نهاية القول المفيد في علم التجويد، صححه علي محمد الضباع، مطبعة مصطفى بابي الحلبي – مصر – ١٣٤٩هـ، ص ١٣٣.

[٧١] سيد قطب: في ظلال القرآن، ٣٧٦٨/٦.

٢- تغير الصائت:

اختلاف الصائت له دوره في تحديد المعنى، فقد تتشابه الكلمتان في صوامتها من حيث ترتيبها وعددها، وتختلف الدلالة بناء على اختلاف الصوائت، وما مثلثات قطرب[٧٢] إلا دليل مؤكد على اختلاف المعاني لاختلاف الحركات.

والقراءات القرآنية الواردة في السورة موضع الدراسة من هذا القبيل يمكن توضيح القول فيها على النحو الآتي:

أ- ﴿ فَإِذَا بَرِقَ ٱلۡبَصَرُ ۝٧ ﴾:

وردت في الفعل (برق) قراءتان[٧٣]:

أ- فتح الراء، وقرأ بها أهل المدينة وأبان بن عاصم.

ب- كسر الراء، وقرأ بها الباقون.

بَرَق: بفتح الراء، ومضارعه يبرُق بالضم، أي شق بصره، وفتح عينه من البريق، وهو التلألؤ واللمعان، أي لمع من شدة شخوصه وصار له برق عند الموت، أو عند رؤية جهنم يبرق بصر الكافر فلا يطرف لما يرى من العجائب التي كان يكذب بها في الدنيا، ويكون الإسناد إلى البصر حقيقة.[٧٤]

بَرِق: بكسر الراء، ومضارعه يبرَق بالفتح: تحيّر فزعاً من برق الرجل: إذا نظر إلى البرق فدهش بصره، "كما يقال: أَسِد وبَقِر إذا رأى أسداً وبقراً كثيرة فتحير من ذلك."[٧٥] ويكون الإسناد إلى البصر على سبيل المجاز العقلي تنزيلاً له منزلة البرق؛ لأنه إذا بُهت شخص بصره.[٧٦]

على ذلك فإن المعنى قد اختلف بتغير الصائت من الفتحة إلى الكسرة، وقد جاء "أنهم في الغالب يجعلون الضمة التي هي أقوى الحركات للمعنى الأقوى والفتحة الخفيفة للمعنى الخفيف، والمتوسطة للمتوسط."[٧٧] أي الكسرة، فتكون دلالة التحير هي الأقوى إذ

---

[٧٢] انظر: إبراهيم قطلاتي: شرح مثلثات قطرب، ١٩٩٨م.

[٧٣] انظر في ذلك: الزمخشري: الكشاف، ٦٦٠/٤، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي: تفسير البغوي – معالم التنزيل، ط٥ – دار ابن حزم – ٢٠١٦م، ص ١٣٦٦، ابن عاشور: التحرير والتنوير، ٣١٩/٢٩.

[٧٤] انظر: ابن عاشور: التحرير والتنوير، ٣١٩/٢٩.

[٧٥] شهاب الدين أبو العباس بن يوسف بن محمد المعروف بالسمين الحلبي: الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، تحقيق علي محمد معوض وآخرين، دار الكتب العلمية – بيروت – ١٤١٤هـ، ٤٢٧/٦.

[٧٦] انظر: ابن عاشور: التحرير والتنوير، ٣١٩/٢٩.

[٧٧] شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزيه: التفسير القيم، جمعه محمد أويس الندوي، حققه محمد حامد الفقي، دار الكتب العلمية، ص ٢٠٦.

جاءت بالكسرة، ودلالة الضياء واللمعان هي الأضعف؛ لذا جاءت بالفتحة الخفيفة مما يعني التوافق الصوتي بين الدلالة والصوت، ولهذا أمثلة في لغتنا، إذ يقولون: "عزّ يعَزّ بفتح العين إذا صلب ... ويقولون عز يعِزُّ بكسرها إذا امتنع، والممتنع فوق الصلب فقد يكون الشيء صلباً ولا يمتنع على كاسره".(٧٨)

ب- ﴿ يَقُولُ ٱلۡإِنسَٰنُ يَوۡمَئِذٍ أَيۡنَ ٱلۡمَفَرُّ ﴿١٠﴾ ﴾

في كلمة (المفر) وردت ثلاث قراءات (٧٩):

١-قرأ الجمهور (الـمَفَر) بفتح الميم والفاء على المصدر، وهي القراءة المشهورة، والمعنى أين الفرار؟ ويحتمل أين المفر من الله سبحانه استحياء منه، أو أين المفر من جهنم حذراً منها.(٨٠)

٢-قرأ ابن عباس ومجاهد والحسن وقتادة بفتح الميم وكسر الفاء (الـمَفِرّ) على أنه اسم مكان، أي أين مكان الفرار.

٣-قرأ الزهري بكسر الميم وفتح الفاء (المِفَرّ) أي الإنسان الجيد الفرار، ومنه قول امرئ القيس:

مكرّ مِفرّ مقبل مدبر معاً كجلمود صخر حطّه السّيل من علِ(٨١)

أي جيد الكرّ والفرّ.

لقد اختلفت الدلالة باختلاف الصائت، ففي وسط ذلك الذعر والخوف، من برق البصر وخسف القمر واختلال النظام الكوني باقتران الشمس والقمر، يأتي السؤال ﴿ أَيۡنَ ٱلۡمَفَرُّ ﴾ متضمناً معنى التمني(٨٢) ليعلن بأنه لا فرار من الله، أو لا مكان للفرار، أو ليس منكم ذلك الإنسان الجيد الفرار. لقد تعددت الدلالة الخاصة لكلمة ﴿ ٱلۡمَفَرُّ ﴾ لتتناسب مع "مشهد يوم القيامة وما يجري فيه من انقلابات كونية، ومن اضطرابات نفسية، ومن حيرة في مواجهة الأحداث الغالبة، حيث يتجلى الهول في صميم الكون وفي أغوار النفس وهي تروغ من هنا ومن هناك كالفأر في المصيدة".(٨٣)

---

(٧٨) السابق.

(٧٩) انظر: الزمخشري: الكشاف، ٦٦٠/٤، ابن عطية: المحرر الوجيز، ص ١٩٢٤، أبو حيان: البحر المحيط، ٣٧٧/٨.

(٨٠) انظر: محمد علي محمد الشوكاني: فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، وثق أصوله سعيد محمد اللحام، المكتبة التجارية – مكة المكرمة، ٤٧٣/٥.

(٨١) ديوان امرئ القيس، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٥ – دار المعارف – القاهرة، ص ١٩.

(٨٢) انظر: ابن عاشور: التحرير والتنوير، ٣٢٠/٢٩.

(٨٣) سيد قطب: في ظلال القرآن، ٣٧٦٦/٦.

٣- تعاقب الصوامت:

الإبدال من الظواهر الصوتية التي تحدث نتيجة تجاور الأصوات ووقوع التأثير بينها، فيؤثر الصوت القوي في الضعيف، ويتحول إلى ما يجانسه في المخرج والصفة؛ إذ إن تحقيق الانسجام بين أصوات الكلمة والاقتصاد في الجهد العضلي المبذول، وقصد التيسير على المتكلم هو من أسباب حدوث الإبدال بين الأصوات.

ومن أقسام الإبدال: التعاقب وهو: "ما جهل فيه اللفظ الأصل لاشتهار الكلمتين، وتعادلهما في التصريف."[٨٤] ولا يوجد الدليل على إبدال أحدهما من الآخر، ومن ذلك: ما ورد في اختلافهم في الصقر، حيث أثبت بالسين وبالصاد وبالزاي: السقر، الصقر، والزقر.[٨٥]

وفي الآيات المدروسة ورد التعاقب بين الراء واللام، فقد قرأ الجمهور بالراء في قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا بَرِقَ ٱلۡبَصَرُ ﴾، وقرأ أبو السمأل "بلق" باللام، إذا انفتح وانفرج، "يقال بلق الباب أبلقته وبلقته فتحته، هذا قول أهل اللغة إلا الفراء، فإنه يقول بلقه وأبلقه إذا أغلقه، وخطأه ثعلب وزعم بعضهم أنه من الأضداد. والظاهر أن اللام فيه أصلية، وجوز أن يكون بدلاً من الراء، فهما يتعاقبان في بعض الكلم، نحو نثر نثل، و وجز ووجل"[٨٦] ولذلك يمكن القول بأن (برق – بلق) مادة واحدة، أبدل فيهما حرف من آخر، فيكون المعنى واحداً لا تختلف الدلالة فيهما، قال السمين الحلبي: "ويؤيده أي برق قد أتى بمعنى شق عينيه وفتحها قاله أبو عبيدة، وأنشد:

لما أتاني من عمير راعياً أعطيته علماً مهاباً يُبرق

أي يفتح عينيه، فهذا مناسب لبلق في المعنى".[٨٧]

وهذا التعاقب بين الراء واللام مقبول صوتياً، فهما من مخرج واحد غير أن الراء تكرارية، واللام جانبية، والصوت المقام مقام الآخر يضاف له ما للصوت من خاصية امتاز بها، فالراء "يدل على ديمومة الحدث وتكراره، فلو قام مقامه اللام فإنه سيكتسب هذه الخصيصة".[٨٨]

---

[٨٤] د. محمد خان: اللهجات العربية والقراءات القرآنية – دراسة في البحر المحيط، ط٣ – دار الفجر – القاهرة – ٢٠٠٣م، ص ١٦٤.

[٨٥] انظر: عبد الرحمن جلال الدين السيوطي: المزهر في علوم اللغة وأنواعها، شرحه وضبطه محمد أحمد جاد المولى وآخرون، منشورات المكتبة العصرية– بيروت – ١٤٠٨هـ، ٤٧٥/١.

[٨٦] الألوسي: روح المعاني، ٢١٥/٢٩.

[٨٧] الدر المصون، ٤٢٧/٦.

[٨٨] د. صالح الفاخري: الدلالة الصوتية في اللغة العربية، ص ١٧٢.

كذلك مما يمكن أن يدرج في اختلاف الدلالة لاختلاف الصامت ما ورد في السورة الكريمة من قراءات في تغير حروف المضارعة وتعاقبها فترتب عليه اختلاف الدلالة، ومن ذلك:

أ- ﴿ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ ۝٣ ﴾:

قرأ قتادة (تُجْمع) بالتاء على البناء للمفعول، ورفع العظام. أما قراءة الجمهور فهي (نَجْمع) بنون المضارعة، ونصب الميم من (عظامه)، والمعنى بعد تفرقها في أباعد الأرض نجمعها يوم القيامة، وبعد البعث من القبور.[٨٩] وقد ذكر ابن عاشور أن فعل الجمع قد يحمل على حقيقته إن كانت إعادة الخلق بجمع الأجزاء المتفرقة، وقد يحمل على المجاز، إن كان البعث بخلق أجسام أخرى على صورة الأجسام الفانية.[٩٠] واختلاف المحملين في معنى الجمع قد يناسبه التعبير بالنون لا بالتاء، وبالبناء للمعلوم لا للمجهول، وبتوجيه صوتي يمكن القول: النون صوت أغن مجهور، فيه ملمح قوة ووضوح سمعي لا يجده السامع في التاء المهموسة الانفجارية، ذات الوضوح السمعي الأقل، يتلو النون الصائت الأمامي الواسع، بخلاف الضمة التالية للتاء فهي صائت خلفي ضيق، ومن المعلوم صوتياً أن الصوائت الأمامية أسهل نطقاً من الخلفية.

ب- ﴿ كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ ۝٢٠ وَتَذَرُونَ ٱلْأَخِرَةَ ۝٢١ ﴾

قرأ الجمهور (تحبون – تذرون) بالتاء، لخطاب كفار قريش تقريعاً وتوبيخاً، أو للالتفات إلى الجنس المتقدم ذكره والإقبال عليه، والتقدير: قل لهم يا محمد بل تحبون. وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وغيرهم بالياء فيهما أي يختارون الدنيا ويعملون لها.[٩١]

ج- ﴿ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِىٍّ يُمْنَىٰ ۝٣٧ ﴾

قراءة الجمهور بالياء في (يك) بإعادة الضمير إلى الإنسان، وقراءة الحسن بتاء الخطاب للالتفات إلى الإنسان وتوبيخاً له.[٩٢] كذلك وردت قراءة الجمهور بالتاء في (تمنى) بإرجاع الضمير إلى النطفة، أما قراءة حفص عن عاصم وابن عامر فهي (يمنى) بالياء، يراد بذلك المني، خلق الله منه البشر.[٩٣]

---

[٨٩] انظر: الزمخشري: الكشاف، ٦٥٩/٤، ابن عطيه: المحرر الوجيز، ص ١٩٢٣.
[٩٠] انظر: التحرير والتنوير، ٣١٥/٢٩.
[٩١] انظر: ابن عطية: المحرر الوجيز، ص ١٩٢٥، أبو حيان: البحر المحيط، ٣٨٠/٨، الألوسي: روح المعاني، ٢٢١/٢٩.
[٩٢] انظر: السمين الحلبي: الدر المصون، ٤٣٤/٦، الشوكاني: فتح القدير، ٤٨١/٥.
[٩٣] انظر: السابق، البغوي: تفسير البغوي، ص ١٣٦٨، ابن عطية: المحرر الوجيز، ص ١٩٢٧.

ويلاحظ في هذه القراءات (تحبون – يحبون) – (تذرون – يذرون) – (يك – تك) – (يمنى – تمنى) أن الاختلاف قد انحصر في ياء المضارعة وتائها. والياء صوت احتكاكي مجهور، والاحتكاك والجهر ملمحان يكسبان الصوت قوة. أما التاء فهي صامت انفجاري، يحتاج إلى جهد عضلي أكثر من نظيره الاحتكاكي[٩٤]، وكذلك هي مهموسة، عند النطق بها يحتاج الناطق إلى قدر كبير من الهواء، أي أن الهمس يجهد الناطق بما يتطلبه من هواء الرئتين[٩٥]، وهذه الملامح التمييزية: الجهر والهمس – الانفجار والاحتكاك تنعكس على الصوت من حيث درجة الوضوح السمعي، فالأصوات المجهورة والاحتكاكية أوضح سمعياً من الأصوات المهموسة والانفجارية، ذلك أن "ملمح الاحتكاك يكسب الصوت وضوحاً أكثر من الانفجار، فهو يشحنه بطاقة أقوى، لكونه أصعب في النطق، كما يكسب الجهر الصوت وضوحاً لا يتوافر في الهمس، لكون الهمس في حقيقته انعدام الجهر"[٩٦]. ولهذا التميز الصوتي في الياء عن التاء يمكن أن نعلل ما ذكره القرطبي من أن أبا عبيدة قد اختار قراءة التاء في (تحبون – تذرون) لكنه قال: "ولولا الكراهة لخلاف هؤلاء القراء لقرأتها بالياء، لذكر الإنسان قبل ذلك".[٩٧] وهذا التميز الصوتي أيضاً قد يقف وراء قول صاحب الكشاف عن قراءة الياء بأنها أبلغ.[٩٨]

[٩٤] انظر: د. إبراهيم أنيس: في اللهجات العربية، ط٥ – مكتبة الأنجلو المصرية – القاهرة – ١٩٧٣م، ص ٨٩.
[٩٥] انظر: د. إبراهيم أنيس: موسيقى الشعر، ص ٣٢.
[٩٦] مهدي عناد أحمد: التحليل الصوتي للنص، ص ٣٩.
[٩٧] الجامع لأحكام القرآن، ٧٠/١٠.
[٩٨] انظر: الزمخشري، ٦٦٢/٤.

المبحث الثاني:
عن الدلالة الصوتية للأصوات فوق التركيبية:

١- دلالة المقطع:

الكلمة تتكون من أصوات تجتمع معاً لتكون بدورها المقطع، الذي يعرف في علم الأصوات بأنه: "مجموعة من الأصوات اللغوية تشتمل على حركة واحدة."[٩٩] وللمقطع ستة أنواع في العربية، يتألف منها متن اللغة، والثلاثة الأولى منها (ص ح – ص ح ح – ص ح ص) هي الأكثر شيوعاً، ومنها يكون أكثر كلامنا.[١٠٠]

وتختلف المقاطع في الجهد المبذول لإنتاجها حسب ما يشتمل عليه المقطع من أصوات، حيث إن:

- الجهد المبذول لنطق الحركة أكبر منه لنطق الصامت.
- الحركة الطويلة أصعب نطقاً من القصيرة، لأنها بمثابة حركتين.
- زيادة أصوات المقطع تؤدي إلى زيادة الجهد المبذول للنطق.

ولذا يمكن ترتيب المقاطع من الأسهل نطقاً للأصعب حسب الجهد المبذول هكذا: أسهلها المقطع القصير ص ح – ص ح ص – ص ح ح – ص ح ص ص – ص ح ح ص – ص ح ح ص ص وهو أصعبها.[١٠١]

والنص القرآني الذي بين أيدينا قد درس على أنه نص منطوق لا مكتوب، قد تجلى إعجازه في صورة لا مثيل لها، ومن وسائل هذا الإعجاز المقاطع الصوتية التي تأتلف الأصوات اللغوية فيها، ويمكن بيان ذلك من خلال بيان خصائص النسيج المقطعي الذي جاءت الكلمات عليه، ثم دراسة أنواع المقاطع الواردة، والانتهاء بما أسهمت به التجمعات المقطعية في إبراز الدلالة وتصوير المعنى.

١- خصائص النسيج المقطعي في السورة:

تبتعد العربية عن توالي أربعة مقاطع من النوع القصير (ص ح)، ولذا عند إسناد الفعل الماضي الثلاثي إلى تاء المتكلم يصبح التركيب المقطعي للفعل (كتبتُ): ص ح – ص ح ص – ص ح. والكلام المنظوم "لا يزاد فيه على جمع بين أربعة أحرف متحركة، فأما النثر فيجمع الناطق فيه بين متحركات كثيرة لأنه يقدر أن يقول ضَرَبَ و فَعَلَ و صَنَعَ ...

---

[٩٩] د. عبد العزيز علام و د. عبد الله ربيع: علم الصوتيات، ص ٧٩.
[١٠٠] انظر: د. إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية، ص ١٦٤.
[١٠١] انظر: مهدي عناد أحمد: التحليل الصوتي للنص، ص ٣٤-٣٧.

إلى أن ينقضي النفس، وأكثر ما اجتمع في كتاب الله عز وجل من الحروف المتحركة ثمانية، وذلك في موضعين من (سورة يوسف): أحدهما قوله تعالى ﴿ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا ﴾ فبين واو كوكب وياء رأيت ثمانية أحرف كلهن متحرك. والموضع الآخر قوله تعالى ﴿ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِيٓ أَبِيٓ أَوْ يَحْكُمَ ٱللَّهُ لِي ﴾ على قراءة من حرك الياء في: ليَ – أبيَ".(١٠٢)

وفي الآيات المدروسة توالت أربعة مقاطع قصيرة مفتوحة أو خمسة في المواضع الآتية:

- ﴿ وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٣٢﴾ ﴾ بين الذال المضعفة وتاء الفعل ﴿ تَوَلَّى ﴾.

kađ–(đ a–ba/wa/ta)–waL–La:

-﴿ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ يَتَمَطَّىٰٓ ﴿٣٣﴾ ﴾ بين ميم ﴿ ثُم ﴾ وهمزة حرف الجر﴿ إِلَى ﴾

Θum–(ma/đ a–ha–ba/ʔ i)–La:

- ﴿ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ ﴾ في موضعين فصل بينهما بمقطع متوسط مغلق:

ka:–(na/ʕ a–La–qa)–tan/(Fa/χa–La–qa/Fa)/saw–wa:

وهذا التوالي لهذا النوع من المقاطع ليس على مستوى الكلمة الواحدة، بل على مستوى التتابع المقطعي في الآية الواحدة مما يتطلب من القارئ امتداد النفس واستمرار النطق بدفعات هوائية متتابعة، فيحدث ثقلاً نطقياً تنعكس ظلاله الدلالية في الموضع الأول والثاني على مشهد العبث واللهو والاختيال بالمعصية والتولي، وفي الموضع الثالث على طول الرحلة وامتدادها ابتداء من الخلية وانتهاء إلى جنين سوي الخلقة.

أما المقطع المتوسط المفتوح (ص ح ح) فتتابعه في العربية مقيّد، فلا يتوالى أكثر من اثنين من هذا النوع.(١٠٣) وهذا ما يجده القارئ في الآيات، حيث لم يتكرر هذا

(١٠٢) أبو العلاء المعري: رسالة الصاهل والشاجح، تحقيق د. عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ، ط٢ – دار المعارف – القاهرة – ١٤٠٢/١٩٨٤، ص ٤٧٢، ولا يخفى على القارئ أن الحروف الثمانية المتحركة قد جاءت في سبعة مقاطع قصيرة، ثم مقطع متوسط مغلق، فيكون التوالي في الأمثلة المذكورة لسبعة مقاطع قصيرة لا ثمانية.

(١٠٣) انظر: د. إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية، ص ١٦٥.

المقطع على مستوى الكلمة الواحدة أو على مستوى الكلمة الصوتية أكثر من مرتين. وعلى عكس ذلك فإن المقطع المتوسط المغلق (ص ح ص) يكون تواليه جائزاً في الكلام العربي[١٠٤]، وقد توالت أربعة من المقاطع المتوسطة المغلقة على مستوى الكلمة الصوتية في مثل ﴿ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ ۝٢ ﴾ bin–naF–siL–Law–wa:–mah أو خمسة مقاطع، كما في ﴿ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ۝٣٩ ﴾ –min–huz–zaw–gay–niđ đa–ka–ra

٢– أنواع المقاطع في السورة[١٠٥]:

جدول رقم (٥)

م	وصف المقطع	رمزه	عدد مرات التكرار	النسبة المئوية %
١	قصير	ص ح	١٩٩	٤٤.٤٢
٢	متوسط مفتوح	ص ح ح	٨٥	١٨.٩٧
٣	متوسط مغلق	ص ح ص	١٥٨	٣٥.٢٧
٤	طويل مغلق	ص ح ح ص	٤	٠.٨٩
٥	طويل مزدوج الإغلاق	ص ح ص ص	٢	٠.٤٥
المجموع			٤٤٨	%١٠٠

من الجدول رقم (٥) السابق يتضح الآتي:

١– بلغ مجموع المقاطع التي شكلت آيات السورة ٤٤٨ مقطعاً.

٢–وردت جميع أنواع المقاطع العربية في النص القرآني المدروس باستثناء النوع السادس وهو المقطع البالغ الطول المزدوج الإغلاق (ص ح ح ص ص)، الذي يحتاج نطقه إلى مزيد من بذل الجهد العضلي لطوله من جهة، ولصعوبة نطقه لما يعرف في علم الأصوات بالعنقود الفونيمي، وهو "اجتماع أكثر من صامت في بداية المقطع أو نهايته"[١٠٦] لذلك لا تنتهي العربية بصامتين إلا في الوقف أو عند إهمال الإعراب أو في سياقات صوتية محددة.

---

[١٠٤] السابق.

[١٠٥] روعي في الكتابة المقطعية للآيات إشباع هاء الضمير في حالة الوصل، فتكون الحركة القصيرة طويلة، أي تنفيذ حكم مد الصلة الصغرى، وهذا ما صنعه المقرئون الذين اعتمدت عليهم الدراسة.

[١٠٦] محمد جواد النوري: علم أصوات العربية، ط١ – منشورات جامعة القدس المفتوحة – عمان – ١٩٩٩م، ص ٢٥٣.

٣- قلّ تكرار المقطعين الرابع والخامس، أي الطويل المغلق (ص ح ح ص)، والطويل المزدوج الإغلاق (ص ح ص ص) في السورة، حيث وردا بنسبة ضئيلة (٠.٨٩ – ٠.٤٥) تؤكد ندرة شيوع هذين النوعين في لغتنا العربية وارتباطهما بسياق الوقف، أو مجيء النوع الرابع في وسط الكلمة فيما سماه "اللغويون العرب القدامى بالتقاء الساكنين على حدهما، وهو أن يكون الأول حرف لين والثاني مدغماً في مثله، نحو الضالّين وشابّه ومدهامّتان".[١٠٧] وفي السورة جاءت في نهاية الآيات في مقطع الفاصلة القرآنية، أي عند الوقف.

٤- شكلت المقاطع من النوع الأول والثاني والثالث البنية المقطعية الأساسية للنص القرآني، فبلغ تكرار ورودها على التوالي: ١٩٩ – ٨٥ – ١٥٨، بنسبة ٤٤.٤٢ – ١٨.٩٧ – ٣٥.٢٧. وهذه الأنواع هي "الشائعة، وهي التي تكون الكثرة الغالبة من الكلام العربي."[١٠٨] حيث إنها الأسهل نطقاً فلا يشعر القارئ بأي صعوبة، مما يدفع عنه الإحساس بالملل. وهذا يؤكد ملمحاً من ملامح الإعجاز اللغوي في القرآن الكريم، الذي نزل ﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِيّ مُّبِينٍ ﴾ (الشعراء: ١٩٥)، عجز العرب عن الإتيان ﴿ بِمِثْلِ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ ﴾ (الإسراء: ٨٨)، أو ﴿ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَـٰتٍ ﴾ (هود: ١٣) أو ﴿ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ ﴾ (البقرة: ٢٣).

٥- يمكن ترتيب المقاطع الثلاثة الأولى حسب تكرارها هكذا: الأول – الثالث – الثاني، وهذا التكرار له ظلاله الدلالية في إحداث نوع من الجرس الصوتي يتناسب مع المعاني التي تحملها الآيات، وهذا بيان ذلك:

١- المقطع (ص ح):

لقد بنيت السورة الكريمة في معظمها على المقطع القصير المفتوح، ولعل هذا يعود – إضافة لما سبق ذكره – إلى أن سورة القيامة مكية بالاتفاق، ومن سمات السور المكية قصر آياتها، وإيجاز عباراتها، وقوة ألفاظها، ويناسب هذه السمات المقطع القصير الذي يضفي جرساً صوتياً على الكلام بخفته وسرعة الانتقال منه إلى ما بعده، فيتلون

[١٠٧] د. رمضان عبد التواب: التطور اللغوي – مظاهره وعلله وقوانينه، ط٢ – مكتبة الخانجي – القاهرة – ١٤١٥، ص ٩٦.

[١٠٨] د. إبراهيم أنيس: الصوات اللغوية، ص ١٦٤.

الإيقاع العام للسورة بالسرعة لكثرة مقاطعها القصيرة، والتي تعد أقصر المقاطع زمناً في النطق.

٢- المقطع (ص ح ص)

هذا المقطع يأتي في المرتبة الثانية من حيث نسبة تكراره في السورة، ومن سماته الصوتية توقف النفس مع نطقه وعدم امتداده بما يوحي للقارئ بأنه "محاصر لا يهرب، مأخوذ بعمله لا يفلت، لا ملجأ له من الله ولا عاصم ... وتشعره بالجد الصارم الحازم في هذا الشأن".[١٠٩] وجدير بالذكر أن مقطع الفاصلة القرآنية في معظم الآيات قد جاء من هذا النوع كما سيأتي بيان ذلك.

وهذان النوعان (ص ح – ص ح ص) يتناسبان مع دلالة الأحكام القاطعة والأخبار المؤكدة والأسلوب التقريري[١١٠]، وهذا هو السياق العام في السورة التي تهدف إلى "إثبات البعث والتذكير بيوم القيامة وذكر أشراطه، وإثبات الجزاء على الأعمال التي عملها الناس في الدنيا، واختلاف أحوال أهل السعادة وأهل الشقاء، وتكريم أهل السعادة والتذكير بالموت وأنه أول مراحل الآخرة، والزجر عن إيثار منافع الحياة العاجلة على ما أعد لأهل الخير من نعيم الآخرة".[١١١]

٣- المقطع (ص ح ح)

جاء هذا النوع في المرتبة الثالثة بعد النوعين (ص ح – ص ح ص) إلا أن ذلك لوّن النص القرآني المشتمل على هذا النوع بالبطء الإيقاعي النسبي، بما يتفق مع طول زمنها النطقي، ولهذا دلالته في التعبير عن معاني التذكر والاستحضار[١١٢]، ويمكن بيان ذلك على النحو الآتي:

أ- تساوي المقطع (ص ح ح) مع المقطع (ص ح) في آية واحدة، هي ﴿ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾، ومع المقطع (ص ح ص) في سبع آيات متفرقة في السورة، وهي: ﴿ كَلَّا لَا وَزَرَ ﴿١١﴾ ﴾، ﴿ بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ﴿١٤﴾ ﴾، ﴿ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ

[١٠٩] سيد قطب: في ظلال القرآن، ٣٧٦٩/٦.
[١١٠] انظر: د. مراد مبروك: جماليات الهندسة الصوتية الإيقاعية في النص الشعري بين الثبات والتغير، دار النشر للجامعات – القاهرة – ٢٠١٠م، ص ١٨٦ وما بعدها.
[١١١] ابن عاشور: التحرير والتنوير، ٣١٢/٢٩.
[١١٢] انظر: د. مراد مبروك: جماليات الهندسة الصوتية الإيقاعية، ص ١٨٦ وما بعدها.

﴿ ١٥ ﴾، ﴿ وَتَذَرُونَ ٱلۡأٓخِرَةَ ﴿ ٢١ ﴾، ﴿ وَقِيلَ مَنۡۜ رَاقٖ ﴿ ٢٧ ﴾، ﴿ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ يَتَمَطَّىٰٓ ﴿ ٣٣ ﴾، ﴿ أَوۡلَىٰ لَكَ فَأَوۡلَىٰ ﴿ ٣٤ ﴾. وهذا التساوي قد يكون سبباً في ضبط الجرس الصوتي للسورة، وانتظامه بما تطرب له الآذان وتلذ عند سماعه.

ب- فاق المقطع (ص ح ح) المقطع (ص ح) في ثلاث آيات، وهي: ﴿ كَلَّا لَا وَزَرَ ﴿ ١١ ﴾، ﴿ وَلَوۡ أَلۡقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ ﴿ ١٥ ﴾، ﴿ كَلَّا بَلۡ تُحِبُّونَ ٱلۡعَاجِلَةَ ﴿ ٢٠ ﴾. والمقطع (ص ح ص) في أربع آيات، وهي: ﴿ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ ﴿ ٤ ﴾، ﴿ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ ﴿ ٢٣ ﴾، ﴿ كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِيَ ﴿ ٢٦ ﴾، ﴿ فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ﴿ ٣١ ﴾. والملاحظ أن الآيات السابقة قد عكس تفوق المقطع المتوسط المفتوح فيها بطء الإيقاع الصوتي بامتداد زمنها النطقي لتصوير المعنى في النص القرآني "كأنه حاضر، وكأنه يخرج من ثنايا الألفاظ ويتحرك كما تخرج ملامح الصورة من خلال لمسات الريشة".[١١٣]

ج- خلت ثلاث آيات من المقطع (ص ح ح)، وهي: ﴿ وَخَسَفَ ٱلۡقَمَرُ ﴿ ٨ ﴾، ﴿ وَجُمِعَ ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ ﴿ ٩ ﴾، ﴿ وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلۡفِرَاقُ ﴿ ٢٨ ﴾. وهذا الخلو يتناسب مع مشهد يوم القيامة، ومشهد الموت والاحتضار، لذا بدت الآيات في إيقاع ليس فيه إبطاء، وفي إجمال ليس فيه تأنٍ.

ويمكن بيان نسبة شيوع كل نوع من المقاطع الصوتية الواردة في السورة على النحو الآتي:

[١١٣] سيد قطب: في ظلال القرآن، ٣٧٧٢/٦.

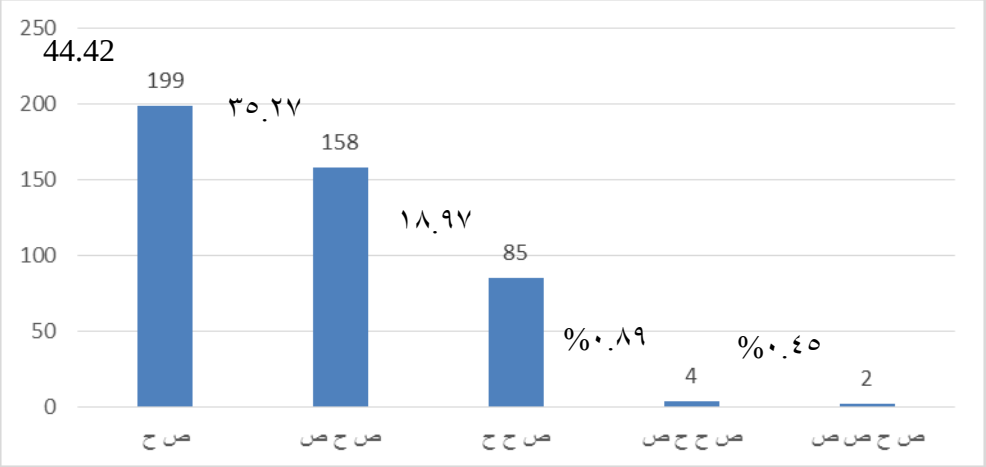

٣- التجمعات المقطعية في السورة:

يراد بالتجمعات المقطعية النظر في عدد المقاطع في الآيات موضع الدراسة، على أساس أن ذلك وسيلة من وسائل الدلالة الصوتية، حيث قد يشكل عدد المقاطع وحدة إيقاعية متكررة، فتسهم في بناء الجرس الصوتي للآيات، حيث إن التوافق في عدد المقاطع يعني التوافق في عدد الانقباضات الصدرية وفي حركة القفص الصدري.

وللوصول إلى ذلك عمدت الدراسة إلى تقسيم الآيات إلى مجموعات معنوية، وترتبط آيات المجموعة الواحدة بنسق صوتي يميزها عن المجموعة التالية، وقد سبق القول بأن السورة قسمت إلى سبع مجموعات. يمكن النظر في ضوئها للتجمعات المقطعية التي ترفد جانباً من جوانب الدلالة الصوتية في السورة، وذلك على الصورة الآتية:

١- المجموعة الأولى: (١-٦)

لقد تقاربت أعداد المقاطع فيها هكذا:

الآيات (١-٢-٦)، مقاطعها على التوالي (١٠-١١-١١)

الآيات (٣-٤-٥)، مقاطعها على التوالي (١٥-١٦-١٤).

وهذا التقارب يعني أن الأصوات كذلك قد تقارب عددها في آيات المجموعة؛ مما ينعكس على الأداء القرآني بما يحققه الجرس الصوتي من لفتٍ لانتباه السامع، وبعدٍ للأداء عن رتابة التكرار. ويمكن تعليل زيادة عدد مقاطع الآية الرابعة بأنه يتناسب مع رد القرآن الحاسم على المشركين بتأكيد بعث الإنسان، فليست العملية مقصورة على جمع العظام، بل تتجاوزها لما هو أدق من ذلك وهو تسوية البنان وإعادته كما كان، "وهي كناية عن إعادة

التكوين الإنساني بأدق ما فيه، وإكماله بحيث لا تضيع منه بنان ولا تختل عن مكانها، بل تسوى تسوية، لا ينقص معها عضو، ولا شكل هذا العضو مهما صغر ودق".[١١٤]

وجدير بالذكر أن الجرس الصوتي المتميز في الآيتين الأولى والثانية لا يقتصر سببه على التجمع المقطعي المتقارب فيهما، بل المتطابق بإسقاط الواو العاطفة، بل يساند ذلك تنغيم القسم الذي يثير في ذهن السامع عظم المقسم به وأن ما "سيذكر بعده أمر مهم لتستشرف به نفس السامع."[١١٥] ويدعم هذا أيضاً التكرار للفعل (أقسم) للتأكيد والتنبيه. كل هذا ليؤكد كيف أن الدلالة الصوتية قد تتقاسمها عدة وسائل، أو تبرز فيها وسيلة دون أخرى فتستأثر بإبراز الظلال المعنوية التي يدركها السامع والمتلقي.

٢- المجموعة الثانية: (٧-١٥)

هذه المجموعة بآياتها التسع تباين عدد مقاطعها، فبلغ خمسة مقاطع في الآية (١١)، وزاد العدد فبلغ تسعة عشر مقطعاً في الآية (١٣)، وبينهما جاءت بقية الآيات في عدد مقاطعها هكذا على التوالي: (٨-٦-٩-١٤-٥-١٣-١٩-١٣-٨).

ويمكن تعليل قلة المقاطع في الآية (١١) ﴿ كَلَّا لَا وَزَرَ ﴿١١﴾ ﴾ بأنه إيجاز رادع للإنسان عن طلب المفر بعد أن تساءل ﴿ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ ﴾، وهذا الإيجاز ناسبه غلبة المقاطع الأسهل نطقاً، وهي القصيرة والمتوسطة المغلفة على المقطع الأصعب نطقاً، وهو المتوسط المفتوح.

أما الآية الثالثة عشرة، والمكونة من تسعة عشر مقطعاً، والتي تعد أطول آية في السورة كلها فهي بيان لعملية حساب الإنسان المجملة، "بما قدمه من عمل قبل وفاته، وبما أخره وراءه من آثار هذا العمل خيراً كان أم شراً، فمن الأعمال ما يخلف وراءه آثاراً تضاف لصاحبها في مقام الحساب."[١١٦] وهذا البيان ناسبه زيادة عدد المقاطع الذي ينتج عنه زيادة الوضوح السمعي.

كذلك يحسن الوقوف عند الآية الرابعة عشرة التي جرت مجرى المثل، لما فيها من معانٍ وفيرة ذكرت بألفاظ وجيزة، فمقاطعها لم تزد عن ثلاثة عشر مقطعاً، بأربعة وثلاثين صوتاً، حيث بدأت بحرف الإضراب الانتقالي (بل) للإخبار بأن الكافر يعلم ما

---

[١١٤] السابق، ٦/٣٧٦٨-٣٧٦٩.
[١١٥] ابن عاشور: التحرير والتنوير، ٢٩/٣١٣.
[١١٦] سيد قطب: في ظلال القرآن، ٦/٣٧٦٩.

يفعله[١١٧]، ثم جاءت كلمة (بصيرة) في ختام الآية بما أضافته من معانٍ عديدة ذكرها المفسرون[١١٨]:

- فقد يكون المراد عين بصيرة، نعت لاسم مؤنث محذوف
- وقد تكون الهاء للمبالغة، والمعنى بل الإنسان على نفسه شاهد شديد المراقبة، وعُدّي بحرف الجر (على) لتضمنه معنى المراقبة.
- وقد يكون اللفظ لا يراد به حقيقة معناه، بل المراد الحجة البينة الواضحة على سبيل المجاز.

ومع تعدد تلك المعاني لمجيء كلمة (بصيرة) مؤنثة فإن التوجيه الصوتي هنا هو محط العناية، حيث إن التأنيث جعل المقطع الأخير في الآيات (١٤-٢٥) متحد التركيب، من النوع المغلق المتوسط (ص ح ص)، ولذا فإن الآية على إيجازها تجعل القارئ يتفكر، ويعيد السؤال لنفسه عن عمله الذي سيحاسب عليه ويجازى به.

٣- المجموعة الثالثة: (١٦-١٩)

تقارب عدد المقاطع فيها هكذا على التوالي: (١٥-١٢-١٣-١٠)، وهي توجيه خاص بالنبي صلى الله عليه وسلم في كيفية تلقي الوحي وحفظ القرآن، فناسب ذلك التوجيه تقارب الآيات في عدد مقاطعها؛ بما ينعكس على الأداء القرآني بجرس صوتي خاص، يوحي إلى السامع بالمعنى المقصود من هذا التوجيه الرباني، وهو "تكفل الله المطلق بشأن هذا القرآن: وصياً وحفظاً وجمعاً وبياناً، وإسناده إليه سبحانه وتعالى بكليته".[١١٩]

٤- المجموعة الرابعة: (٢٠-٢٥)

الآيتان (٢٠-٢٢) تساوت في عدد مقاطعها، فبلغت عشرة مقاطع، والآيتان (٢١-٢٣) كذلك تساوت المقاطع فيهما، فجاءت ثمانية مقاطع، أما الآيتان (٢٤-٢٥) فقد تقاربت المقاطع فيهما هكذا: (١١-١٢). ولا يخفى على القارئ حدوث نوع من الإيقاع المتكرر من خلال هذا العدد (١٠-٨-١٠-٨) خاصة أن الآيات الكريمة في معرض الحديث المتقابل عن نقيضين: العاجلة والآخرة، والوجوه الناضرة والباسرة. يضاف إلى

[١١٧] انظر: ابن عاشور: التحرير والتنوير، ٣٢٢/٢٩.
[١١٨] انظر: البغوي: تفسير البغوي، ص ١٣٦٦، الزمخشري: الكشاف، ٦٦١/٤، الألوسي: روح المعاني، ٢١٨/٢٩.
[١١٩] سيد قطب: في ظلال القرآن، ٣٧٧٠/٦.

ذلك أن التعبير بالعاجلة أحدث تقسيماً صوتياً تلذ له الآذان، وأوجد إيقاعاً بتكرار الوحدة الإيقاعية في ﴿ وَتَذَرُونَ ٱلۡأٓخِرَةَ ﴿٢١﴾ ﴾، فعدد المقاطع واحد هكذا:

تحبون العاجلة tu–ḥ ib–bu:–naL– ʕ a:–gi–Lah

تذرون الآخرة ta–đa–ru:–naL–ʔ a:–χ i–rah

فالمقاطع متماثلة في نوعيتها، حيث بدئت بالمقطع القصير، تلاه أربعة مقاطع متوسطة[١٢٠]، ثم ختمت بمقطع قصير فمتوسط مغلق.

وهذا الإيقاع المتكرر يلحظه القارئ كذلك في ﴿ وُجُوهٌ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ﴾ و ﴿ وَوُجُوهٌ يَوۡمَئِذِۭ بَاسِرَةٌ ﴾ فقد اتحدت المقاطع فيهما نوعاً وعدداً هكذا:

وجوه يومئذ ناضرة

rah – i □– na: / đin – –ʔ i ma – yaw / –hun gu: wu–

وجوه يومئذ باسرة

wu– gu: – hun / yaw – ma –ʔ i – đin / ba: – si – rah

ص ح ص ص ح ص ح ح ص ح ص ص ح ص ح ص ح ص ح ص ص ح ح ص ح

ويلاحظ أن هذا الإيقاع المتكرر قد ورد بسلاسة نطقية واضحة، مستمدة من نوعية المقاطع الواردة، وهي الأنواع الثلاثة الأولى التي تعد من أسهل المقاطع في العربية.

٥– المجموعة الخامسة: (٢٦–٣٠)

جاء عدد المقاطع في آيات هذه المجموعة متقارباً ما بين ثمانية مقاطع إلى اثني عشر مقطعاً، باستثناء الآية (٢٧) التي قلت مقاطعها عن سبعة، فكانت خمسة مقاطع، ولعل الإيجاز فيها مناسب للتصوير المجمل لمشهد الاحتضار وحقيقة الموت، بأن يكون الاستفهام حقيقياً بمعنى من يرقيه وينجيه مما هو فيه، أو هو من كلام الملائكة، فمن يرقى بروحه ملائكة الرحمة أو ملائكة العذاب، أو يكون الاستفهام استفهام استبعاد وإنكار، فقد بلغت النفس مبلغاً لا تنفع فيه الرقية.[١٢١]

[١٢٠] في (تذرون) جاء المقطع الثاني حين نعد من الأول قصيراً.
[١٢١] انظر: الألوسي: روح المعاني، ٢٢٦/٢٩.

٦- المجموعة السادسة: (٣١-٣٥)

تقاربت الآيات في عدد مقاطعها، فهي ما بين سبعة وعشرة مقاطع إلا الآية (٣٣) فقد تجاوزت مقاطعها العشرة، فبلغت أربعة عشر مقطعاً. وهذا الإطناب النسبي فيها يمكن توضيح مناسبته الصوتية مع ما تضمنته الآية الكريمة من حديث حول وصف أبي جهل، والذي نزلت فيه الآيات، وكادت تصرح به في قوله تعالى: ﴿ يَتَمَطَّىٰٓ ﴾[١٢٢]، بأنه يتمدد ويتبختر في مشيته، ويتثاقل عن دعوة الحق، وهذا يناسبه زيادة عدد المقاطع بما يحقق زيادة الوضوح السمعي، يساند ذلك التعبير القرآني بالفعل (يتمطى)، الذي يندرج في باب المخالفة، فأصله يتمطط، قلبت الطاء ياء؛ كراهية توالي الأمثال، كما في تظنيت وتقصيت أصلهما تظنن وتقصص. ولا يخفى على القارئ دور المقطع المتوسط المفتوح (:a□) – المبدوء بصوت الطاء المطبقة – في تصوير حركة اختيال أبي جهل بأنه "يمط في ظهره، ويتعاجب تعاجباً ثقيلاً كريهاً"[١٢٣]، فكأن امتداد الحركة بطولها الزمني امتداد يمد فيه ظهره ويلويه من التبختر. وقوة وضوح الطاء المطبقة إيحاء بتمكن الخيلاء منه.

٧- المجموعة السابعة: (٣٦-٤٠)

تساوت الآيتان (٣٦-٣٧) في عدد مقاطعهما، فبلغت ثلاثة عشر مقطعاً، وكذلك الآيتان (٣٨-٣٩) جاءت مقاطعهما خمسة عشر مقطعاً. وهذا التساوي يحدث وحدة إيقاعية صوتية، نتيجة التوافق في الدفعات الهوائية الخارجة من الرئتين لنطق كل مقطع. ثم ختمت السورة بالآية الأربعين التي كثرت مقاطعها نسبياً، فبلغت ثمانية عشر مقطعاً، ولعل مرد ذلك لبيان الحقيقة المستنتجة في ختام السورة، وهي أن الله قادر على أن يحيي الموتى، وقد تعمقت هذه الحقيقة من خلال الاستفهام التقريري بصوت الهمزة الانفجاري القوي الموحي بعظمة الله وقدرته على الإحياء بعد الموت.

٢- دلالة الوقف:

توالى عطاء أسلافنا في دراسة موضوع الوقف، وتنوع ذلك العطاء عند اللغويين وعلماء التجويد والقراءات، منطلقين من ربطه بالعربية الفصحى التي كانت ميدانهم للتقعيد والقياس، أو بالنص القرآني الذي طبقوا عليه الوقف وبينوا مواضعه وأحكامه، وهذا هو محط عناية هذه الدراسة، كونها تقوم على النص القرآني.

---

[١٢٢] انظر: أبو حيان: البحر المحيط، ٣٨١/٨.
[١٢٣] سيد قطب: في ظلال القرآن، ٣٧٧٣/٦.

يعرّف الوقف بأنه "قطع الصوت عن الكلمة زمناً يتنفَّس فيه عادة بنية استئناف القراءة"[١٢٤]. وللوقف نوعان[١٢٥]: وقف اضطراري، أو ما يسمّى بالقبيح، يضطر القارئ له لانقطاع النفس ونحوه، وقبحه لعدم فائدته أو لعدم تمام المعنى. ووقف اختياري، وله أنواع:

١- الوقف التام: وهو الذي يتم الكلام معه، فلا يكون تعلق لما بعده بما قبله لفظاً ومعنى، ومن مواضع هذا الوقف رؤوس الآيات، وعند انتهاء القصص.

٢- الوقف الكافي: وهو الذي يتعلق الكلام فيه بما بعده من جهة المعنى، وهو كافٍ للاستغناء به عما بعده؛ لتمام لفظه دون معناه. وهو أكثر الوقوف الجائزة في القرآن.

٣- الوقف الحسن: وهو الذي يكون للكلام معه تعلق بما بعده لفظاً ومعنى. وقد يكون في رؤوس الآيات وفي غيرها.

ولهذه الأنواع تفصيل أحكامٍ تراعى في قراءة القرآن الكريم وقفاً وابتداءً، مما هو مبسوط في كتب علمي التجويد والقراءات ويمكن العودة إليها للاطلاع والاستزادة.

ويزداد عطاء علماء التجويد والقراءات في هذا السياق، ويمكن الوقوف عليه في أمرين: الأول تفريقهم بين القطع والوقف والسكت، فهي كلها مصطلحات ترتبط بقطع الصوت على تفاوت في ذلك، فإن كان قطع الصوت للانتهاء وعدم نية الاستئناف فهو القطع، وإن كان بنية الاستئناف زمناً يتنفس فيه فهو الوقف، كما سبق بيانه، وإن كان بنية استئناف القراءة بعد زمن يسير لا يتنفّس فيه فهو السكت، وله مواضع خاصة في التلاوة القرآنية. ولعل القارئ يلحظ أن هذا التفريق بين المصطلحات الثلاثة أساسه لغوي، يرتبط بالمستوى الصوتي وبالمستوى الدلالي، لعلاقته بالزمن وبتمام المعنى وعدمه. وهذا ما يحسب لأسلافنا بحيازتهم قصب السبق في كثير من قضايا علم الصوتيات الحديث التي جاءت مبثوثة في ثنايا تناولهم لموضوعات علم التجويد القرآني.

---

[١٢٤] أبو الخير محمد بن محمد الدمشقي الشهير بابن الجزري: النشر في القراءات العشر، أشرف على تصحيحه علي محمد الضباع، دار الكتب العلمية- بيروت، ٢٤٠/١.

[١٢٥] انظر: أحمد بن أحمد بن محمد الطويل: فن الترتيل وعلومه، ط١ – مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف – المدينة المنورة – ١٤٢٠هـ، ٩٠٤/٢ وما بعدها.

والأمر الثاني: وضعهم علامات للوقف في القرآن الكريم، اصطلحوا عليها برموز تدل على المراد منها، لا ينبغي لقارئ القرآن الجهل بها، لارتباطها بمعاني الآيات ودلالاتها.

وللوقف وظائف عديدة في الأداء القرآني الكريم، فعلاوة على أنه محطة استراحة وتنفس للقارئ، إلا أنه وسيلة من وسائل معرفة رؤوس الآي بالوقف عليها اتباعاً للقراءة المتوارثة عن النبي صلى الله عليه وسلم واتباع هديه عليه السلام في ذلك. كذلك عن طريق الوقف تقسّم السورة إلى آيات، تعد مجموعات نفسية كلامية، يتحقق من خلالها الفواصل القرآنية، والتي تصبغ تلاوة الآيات بالجمال الأدائي الذي تأنس به النفس وتطرب له الأذن. ومن أبرز وظائف الوقفات كذلك الوظيفة الدلالية المرتبطة بخط المعنى، حيث إن الوقفات في علم الصوتيات على نوعين:

- وقفة منتهية تدل على أن الكلام قد انتهى، وليس ما بعده متعلق به.
- وقفة غير منتهية تدل على أن الكلام لم يتم، وما بعد الوقفة له تعلق بما قبلها، فهي إيذان من المتحدث للسامع بانتظار الآتي.

والفرق بين النوعين هو فرق في نمط الأداء من الناحية الفيزيائية والأدائية على الكلمة الموقوف عليها[١٢٦]. ويمكن الجمع بين عطاء علماء التجويد في تقسيمهم الوقف إلى التام والكافي والحسن وبين جهود علماء الأصوات المحدثين حين جعلوا الوقفة على نوعين بمراعاة الانتهاء وعدمه على النحو الآتي:

- الوقف التام يقابل الوقفة المنتهية، بجامع اكتمال المعنى وعدم ارتباط ما قبل الوقفة بما بعدها.
- الوقف الكافي والحسن يقابل الوقفة غير المنتهية؛ لارتباط ما قبل الوقفة بما بعدها معنى أو لفظاً ومعنى.

وفي هذه الدراسة يمكن توضيح ما اشتملت عليه الآيات الكريمة من أنواع للوقف على الصورة الآتية:

١. الوقف على رؤوس الآيات:

راعى المقرئون الذين اعتمدت الدراسة عليهم الوقف على رؤوس الآي، اتباعاً للقراءة المثلى المتوارثة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبلغت هذه

[١٢٦] انظر: للباحثة: الوقف في الجمل الشرطية من خلال خطب الجمعة في الحرمين الشريفين – دراسة صوتية معملية، مجلة كلية اللغة العربية بالقاهرة– العدد ٣٦-٢٠١٨م – جامعة الأزهر – كلية اللغة العربية، ص ٧٨٠-٩٢٨.

الوقفات أربعين وقفة بعدد آيات السورة. وقد تنوعت من حيث الانتهاء وعدمه حسب الأداء القرآني المرتل المعتمد في الدراسة، فجاءت في المجموعات المعنوية السبع المقسمة لها السورة هكذا[١٢٧]:

* المجموعة (١): آياتها (١-٦):

- الوقفتان (١-٣) غير منتهية، لارتباط ما قبلها بما بعدها بالعطف، وبحرف الجواب (بلى).
- والوقفتان (٢-٦) منتهية، لاستئناف ما بعدها.
- والوقفة (٥) غير منتهية؛ لارتباط ما قبلها بما بعدها عن طريق بدل اشتمال أو مطابق. ويجوز أن تكون الجملة مستأنفة تعجباً من حال سؤالهم[١٢٨] فتكون الوقفة منتهية لكن أداء المقرئين جعل الوقفة غير منتهية لدلالة البدلية.

* المجموعة (٢): آياتها (٧-١٥):

- الوقفات (٧-٨-٩-١٤) غير منتهية؛ لارتباط ما قبلها بما بعدها عن طريق العطف، وجواب الشرط والحالية.
- الوقفة (١٠) منتهية؛ لاستئناف ما بعدها. وقد وظف ابن عاشور الوقف أو الوصل دلالياً في تفسيره للآية ليكون أداء القارئ طريقاً يتلمس منه السامع الدلالة المقصودة فيقول: "فيجوز أن يكون ﴿ كَلَّا لَا وَزَرَ ﴾ كلاماً مستأنفاً من جانب الله تعالى جواباً لمقالة الإنسان، أي لا وزر لك، فينبغي الوقف على ﴿ ٱلْمَفَرُّ ﴾. ويجوز أن يكون من تمام مقالة الإنسان، أي يقول: أين المفر؟ ويجيب نفسه بإبطال طعمه فيقول ﴿ كَلَّا لَا وَزَرَ ﴾ أي لا وزر لي، وذلك بأن نظر في جهاته فلم يجد إلا النار كما ورد في الحديث، فيحسن أن يُوصل ﴿ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ ﴾ بجملة ﴿ كَلَّا لَا وَزَرَ ﴾."[١٢٩]، فالوصل المذكور طريقة أدائية ثانية تضاف للوقفة غير المنتهية يمكن القراءة بها لبيان دلالة أن المقالة جواب من الإنسان على نفسه.

---

[١٢٧] تم الاعتماد على كتب التفسير لبيان ارتباط الآيات ببعضها دلالياً وإعرابياً، وجاء النص إن دعت الضرورة لذلك التنصيص.

[١٢٨] انظر: ابن عاشور: التحرير والتنوير، ٣١٨/٢٩.

[١٢٩] السابق، ٣٢٠/٢٩-٣٢١.

وجدير بالذكر أن الشيخ عبد الباسط قد صنع وقفة غير منتهية في وسط هذه الآية بعد ﴿ كَلَّا ﴾، وابتدأ بعدها ﴿ لَا وَزَرَ ﴾، ولعل هذا الأداء علاوة على أن فيه لفت انتباه السامع للجواب الرادع قد يؤكد معنى الاستئناف وأن الجواب من الله كما ذكر ابن عاشور.

- الوقفات (١١-١٣-١٥) منتهية؛ لاستئناف ما بعدها.
- الوقفة (١٢) منتهية؛ لاستئناف ما بعدها، وهذا أداء المقرئين. ويجوز أن يكون ما بعدها بدل اشتمال مما قبلها، "أي إلى الله مصيرهم وفي مصيرهم ينبأون بما قدموا وما أخروا"[١٣٠] فتكون الوقفة غير منتهية وهذا ما لم يكن أداء المقرئين عليه.

* المجموعة (٣): آياتها (١٦-١٩):

- الوقفات (١٦-١٧-١٨) غير منتهية؛ لارتباط ما قبلها بما بعدها؛ لتعليل النهي، وللعطف.
- الوقفة (١٩) منتهية؛ لاستئناف ما بعدها.

* المجموعة (٤): آياتها (٢٠-٢٥):

- الوقفات (٢٠-٢٢-٢٣-٢٤) غير منتهية، لارتباط ما قبلها بما بعدها عن طريق العطف في (٢٠-٢٣)، والإخبار في (٢٢)[١٣١] و (٢٤).
- الوقفتان (٢١-٢٥) منتهية؛ لاستئناف ما بعدها.

* المجموعة (٥): آياتها (٢٦-٣٠):

- الوقفات (٢٦-٢٧-٢٨-٢٩) غير منتهية، لارتباط ما قبلها بما بعدها بالعطف في الثلاثة الأولى، وبتفسير جواب إذا المقدر في الأخيرة.
- الوقفة (٣٠) منتهية، لاستئناف ما بعدها.

* المجموعة (٦): آياتها (٣١-٣٥):

- الوقفات (٣١-٣٢-٣٤) غير منتهية، لارتباط ما قبلها بما بعدها بالعطف.
- الوقفتان (٣٣-٣٥) منتهية؛ للاستئناف.

* المجموعة (٧): آياتها (٣٦-٤٠):

- الوقفتان (٣٧-٣٨) غير منتهية، لاترباط ما قبلها بما بعدها عن طريق العطف.

---

[١٣٠] السابق، ٣٢١/٢٩.

[١٣١] للمفسرين أقوال في تعيين خبر المبتدأ الأول (وجوه) وهذه الأقوال في معظمها لا تنفك عن تأكيد الترابط المعنوي بين الآيتين (٢٢-٢٣)، مما يؤيد أن الوقفة في نهاية الآية (٢٢) غير منتهية.

- الوقفات (٣٦-٣٩-٤٠) منتهية؛ للاستئناف في (٣٦-٣٩) ولانتهاء السورة في الأخيرة، وهذا الذي يمكن تسميته بالقطع في حال عدم استمرار القراءة والتلاوة لسورة جديدة.

بناء على ما سبق يمكن القول: إن الوقفات في السورة الكريمة قد غلب عليها دلالة عدم الانتهاء، حيث إن الوقفات غير المنتهية وردت اثنتين وعشرين مرة على حين بلغت الوقفات المنتهية ثماني عشرة وقفة، وهذه الغلبة النسبية للوقفات غير المنتهية تبرز اتصال الآيات القرآنية في السورة الواحدة، والتي تظهر في أداء المقرئ وكأنـــها وحدة واحدة لا انفصال بينها، ولا تمام لمعانيها إلا باتصال السابق باللاحق فيأتي الأداء القرآني المرتل موضحاً ارتباط السياق القرآني ارتباطاً وثيقاً يأخذ بعضه بتلابيب بعض.

٢. السكت في ﴿ وَقِيلَ مَنۜ رَاقٍ ﴾:

جاءت قراءة المقرئين جميعهم بالسكت على ﴿ مَنۜ ﴾، والابتداء بعدها بقوله ﴿ رَاقٍ ﴾، وهي قراءة حفص عن عاصم، ومن مواضع السكت الستة التي رويت له، وهي مقيدة بالسماع والنقل، فلا يجوز السكت إلا فيما صحت فيه الراوية[١٣٢]. أما الجمهور فقد أدغموا إدغاماً بغير غنة؛ لأن إظهار النون عند حروف الفم ومنها الراء لحن[١٣٣]. وتعليل قراءة حفص بالسكت – أي بقطع الصوت مع عدم التنفس زمناً يسيراً – لقصد "أن لا يتوهم أنها كلمة واحدة فسكت سكتاً لطيفاً ليشعر أنهما كلمتان"[١٣٤]. فلا يكون الشبه بكلمة مرَّاق وهو بائع المَرْقة[١٣٥]. وكذلك يمكن أن يقال "لعل الإظهار رأي كوفي، فعاصم شيخ حفص يذكر أنه كان عالماً بالنحو"[١٣٦]. ولا يخفى أن التعليل السابق له وجاهته الصوتية؛ إذ إن السكت يحدث فاصلاً زمنياً يسيراً يتنفس فيه القارئ فيفصل بين الكلمتين دفعاً لتوهم أنها كلمة واحدة، فيظهر المعنى المراد إيصاله للسامع بنطقهما وإظهارهما دون لبس.

هذا ما ورد في أداء المقرئين للسورة الكريمة من الوقفات وموضع السكت في الآية السابعة والعشرين. ويضاف إلى ذلك مما لم يكن في أداء المقرئين لكن بعض كتب

---

[١٣٢] انظر: أحمد الطويل: فن الترتيل، ٩٠١/٢.
[١٣٣] انظر: أبو حيان: البحر المحيط، ٣٨١/٨. القاسمي: تفسير القاسمي، ٣٥٧/١٥.
[١٣٤] أبو حيان: البحر المحيط، ٣٨١/٨.
[١٣٥] انظر: القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ٧٣/١٠.
[١٣٦] الألوسي: روح المعاني، ٢٢٧/٢٩.

التفسير ذكرته، وهو الوقف الحسن[١٣٧] على ﴿ بَلَىٰ ﴾ في قوله تعالى: ﴿ بَلَىٰ قَـٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ ﴿٤﴾ ﴾، ثم الابتداء بعد الوقف بكلمة ﴿ قَـٰدِرِين ﴾ ، على معنى بلى نجمعها. أي أن جواب الاستفهام المشتمل على معنى التوبيخ في ﴿ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَـٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ ﴾ يكون بكلمة ﴿ بَلَىٰ ﴾ موقوفاً عليها؛ تأكيداً لهذا الجواب ولفتاً لانتباه السامع لعظيم قدرة الله على جمع العظام، فالبنان أطراف الإنسان، "وآخر ما يتم به خلقه، فمن قدر على جمع أطرافه وآخر ما يتم به خلقه، مع دقتها وصغرها ولطافتها، فهو على ما دون ذلك أقدر، فالقوم لما استبعدوا جمع العظام بعد الفناء والإرمام قيل: إنا نجمع ونسوي أكثرها تفرقاً، وأدقها أجزاء وآخر أطراف البدن، وهي عظام الأنامل ومفاصلها"[١٣٨]. وهكذا يساعد الوقف متى ما أحسن المتكلم موقعه في توضيح الدلالات وبيان المعاني التي تحملها الآيات.

٣- دلالة الإيقاع في الفاصلة القرآنية:

يعرف الإيقاع بأنه "إحساس بالتكرر المنتظم لمجموعات، كل منها يشتمل على أحداث متشابهة ومتعاقبة".[١٣٩] ويعمد المتكلم له لتقديم فكرته في قالب تطرب له الأذن وتحبه النفس، فهو وسيلة في يده يعبر به عن مشاعره وانفعالاته. والإيقاع كما يكون في الشعر يكون في النثر بفنونه المختلفة مع اختلاف صوره وتفاوت تحققه.

أما الإيقاع في القرآن الكريم فيتحقق عن طريق التوازن، الذي هو من صور الإيقاع؛ ذلك أن "اختلاف الكلمات طولاً وقصراً وتجرداً وزيادة واتصالاً وانفصالاً حال دون هذه الرتابة، وذلك الملل، وجعل للغة إيقاعاً لا مجرد وقع. ولكن الإيقاع المقصود هو إيقاع في نطاق التوازن لا في نطاق الوزن. فالوزن في العربية للشعر والتوازن في الإيقاع للنثر، والذي في القرآن متوازن لا موزون".[١٤٠] وهذه الإيقاعية القرآنية الخالدة

---

[١٣٧] انظر: الشوكاني: فتح القدير، ٤٧١/٥، القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ٦١/١٠.

[١٣٨] ابن قيم الجوزيه: بدائع التفسير الجامع لتفسير الإمام ابن قيم الجوزية، جمعه ووثق نصوصه يُسرى السيد محمد، دار ابن الجوزي، ٧٤/٥.

[١٣٩] د. عبد العزيز علام و د. عبد الله ربيع: علم الصوتيات، ص ٣٥٥.

[١٤٠] د. تمام حسان: البيان في روائع القرآن – دراسة لغوية وأسلوبية للنص القرآني، ط٢، عالم الكتب – القاهرة – ١٤٢٠هـ، ص ١٨٦.

التي تحدث التأثير في النفس لا تقوم على أساس صوتي فقط، بل يعاون ذلك المعاني والدلالات التي اشتملت عليها الآيات القرآنية.

والفاصلة القرآنية ركن أساسي في تحقيق الإيقاع الصوتي في القرآن الكريم؛ بما يمكّن القارئ من تلاوته وترتيله ترنماً وتغنياً مقبولاً، وهذا ما سيدور الحديث حوله هنا من خلال البيان الموجز للفاصلة القرآنية وأنواعها في القرآن الكريم، والتعريج على كيفية تكوّن الإيقاع في فواصل سورة القيامة، مع ربط ذلك بالمعاني والدلالات:

الفاصلة – كما عرفها الزركشي – هي: "كلمة آخر الآية كقافية الشعر وقرينة السجع".[١٤١] وهذا تعريف يتصل بالجانب الإيقاعي للفاصلة، ويمكن صياغته صوتياً بأنها تقع في آخر ما تختم به الآية نطقاً، سواء أكان صوتاً أم مقطعاً أم كلمة، ويفصل بها بين الآية وما بعدها. وقد تعددت أنواع الفاصلة في القرآن الكريم هكذا:[١٤٢]

١-الفواصل المتماثلة الحروف، ومثال ذلك ما جاءت عليه الفاصلة في بعض قصار السور: سورة الناس التي تنتهي فاصلتها بالسين، وسورة الإخلاص التي ختمت آياتها بصوت الدال.

٢-الفواصل المتقاربة الحروف، كما في سورة الفاتحة بتقارب حرفي الميم والنون ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴾.

٣-الفاصلة المتوازية، وهي اتفاق الكلمتين في الوزن والحرف، كما في قول الله تعالى ﴿ فِيهَا سُرُرٞ مَّرۡفُوعَةٞ ۝١٣ وَأَكۡوَابٞ مَّوۡضُوعَةٞ ﴾ (الغاشية: ١٣-١٤).

٤-الفاصلة المتوازنة، وهي مراعاة الوزن فقط في مقاطع الكلام، كما في قول الله تعالى: ﴿ وَنَمَارِقُ مَصۡفُوفَةٞ ۝١٥ وَزَرَابِيُّ مَبۡثُوثَةٌ ﴾ (الغاشية: ١٥-١٦).

وفواصل سورة القيامة هي فاصلة متماثلة، قد تنوعت في هذا التماثل على النحو الآتي:

---

[١٤١] البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٣ – دار التراث – القاهرة – ١٤٠٤هـ، ٥٣/١.
[١٤٢] انظر: السابق، ٧٢/١-٧٧.

جدول رقم (٦)

الصوت الأخير في الفاصلة	عدد الآيات
الهاء	١٨
الراء	٧
الصوت الأخير في الفاصلة	**عدد الآيات**
ياء المد	١
القاف	٤
ألف المد	١٠

ويمكن عرضها على النحو الآتي:

جدول رقم (٧)

صوت الفاصلة	نهاية الآيات
الهاء	ٱلْقِيَـٰمَةِ ﴿١﴾ ٱللَّوَّامَةِ ﴿٢﴾ عِظَامَهُۥ ﴿٣﴾ بَنَانَهُۥ ﴿٤﴾ أَمَامَهُۥ ﴿٥﴾ ٱلْقِيَـٰمَةِ ﴿٦﴾ بَصِيرَةٌ ﴿١٤﴾ مَعَاذِيرَهُۥ ﴿١٥﴾ بِهِۦ ﴿١٦﴾ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾ ٱلْعَاجِلَةَ ﴿٢٠﴾ ٱلْـَٔاخِرَةَ ﴿٢١﴾ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ بَاسِرَةٌ ﴿٢٤﴾ فَاقِرَةٌ ﴿٢٥﴾
الراء	ٱلْبَصَرُ ﴿٧﴾ ٱلْقَمَرُ ﴿٨﴾ وَٱلْقَمَرُ ﴿٩﴾ ٱلْمَفَرُّ ﴿١٠﴾ وَزَرَ ﴿١١﴾ ٱلْمُسْتَقَرُّ ﴿١٢﴾ وَأَخَّرَ ﴿١٣﴾
ياء المد	ٱلتَّرَاقِىَ ﴿٢٦﴾
القاف	رَاقٍ ﴿٢٧﴾ ٱلْفِرَاقُ ﴿٢٨﴾ بِٱلسَّاقِ ﴿٢٩﴾ ٱلْمَسَاقُ ﴿٣٠﴾
ألف المد	صَلَّىٰ ﴿٣١﴾ وَتَوَلَّىٰ ﴿٣٢﴾ يَتَمَطَّىٰٓ ﴿٣٣﴾ فَأَوْلَىٰ ﴿٣٤﴾ فَأَوْلَىٰٓ ﴿٣٥﴾ سُدًى ﴿٣٦﴾ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ وَٱلْأُنثَىٰٓ ﴿٣٩﴾ ٱلْمَوْتَىٰٓ ﴿٤٠﴾

ويلاحظ مما سبق في الجدولين (٦) – (٧) أن الفاصلة في السورة الكريمة قد توزعت بين خمسة أصوات: الهاء الواردة في نصف الآيات تقريباً، ثم ألف المد في عشر آيات، أي ربع آيات السورة، ودارت الفاصلة في الربع الأخير بين الراء والقاف وياء المد. وهذه الأصوات الواردة في فواصل السورة تتناسب مع ما تضمنته السورة من

حقائق ومشاهد عن يوم القيامة والنفس والموت وحقيقة النشأة الأولى، وهذا ما سيتضح عند الحديث عن كل صوت منها.

والمتأمل في الآيات يجد أنه قد ورد السياق بتأخير ما حقه التقديم عناية بالمعنى من جانب، ومراعاة للفاصلة من جانب آخر، وهذا متحقق في الآيات الآتية:

١- ﴿ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ ﴿١٢﴾ ﴾: قدم الجار والمجرور لإفادة القصر والاختصاص من جهة المعنى، ولمراعاة الفاصلة من جهة اللفظ.

٢- ﴿ بَلِ ٱلْإِنسَـٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ﴿١٤﴾ ﴾: الجار والمجرور ﴿ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ﴾ خبر المبتدأ الثاني مقدم، و ﴿ بَصِيرَةٌ ﴾ المبتدأ الثاني مؤخر، والجملة خبر الإنسان، أو الجار والمجرور ﴿ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ﴾ متعلق بلفظ ﴿ بَصِيرَةٌ ﴾ أي الإنسان بصير بنفسه، فيكون من تقديم المتعلق على المتعلق به[١٤٣] وفي كلا الإعرابين جاء التقديم عناية بالمعنى ومراعاة للفاصلة واهتماماً بالجرس الصوتي.

٣- ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ ﴾

٤- ﴿ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾ ﴾.

جاء السياق القرآني في الآيتين بتقديم الجار والمجرور على الاسم، وهذا ما اقتضاه المعنى لدلالة القصر، واقتضته الفاصلة لتحقيق التناسق الصوتي الذي تطرب له الأذن.

٥-﴿ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ تقديم الجار والمجرور ﴿ إِلَىٰ رَبِّهَا ﴾ على عامله "للاهتمام بهذا العطاء العجيب، وليس للاختصاص لأنهم ليرون بهجات كثيرة في الجنة"[١٤٤] وهذا يعني أن التقديم اقتضاه المعنى وإيقاعية الفاصلة.

---

[١٤٣] انظر: ابن عاشور: التحرير والتنوير، ٣٢٢/٢٩.

[١٤٤] السابق، ٣٣٠/٢٩، ومن المعلوم أن مسألة النظر ورؤية الله عز وجل مذكورة في أصول الدين، ولأهل السنة ولأهل الاعتزال دلائلهم في ذلك مما يمكن مراجعته في مظانه.

٦-﴿ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمَسَاقُ ﴿٣٠﴾ ﴾ الجار والمجرور متعلق بخبر مقدم للمبتدأ ﴿ ٱلْمَسَاقُ ﴾، والتقديم لإفادة القصر والحصر، "أي إلى الله تعالى وحكمه سوقه لا إلى غيره" [١٤٥] فهذا التقديم مراعاة للمعنى وعناية بالجرس الصوتي للفاصلة.

ومن خلال الدرس الصوتي يمكن تناول الفاصلة القرآنية تناولاً صوتياً بالوقوف على نوعية الأصوات المتحدة التي اشتركت فيها الفواصل، وعلى المقاطع الصوتية المكونة لها من حيث توافقها أو تجانسها، وذلك على النحو الآتي:

١- الصوت الأخير في الفاصلة: الهاء:

ورد ذلك في مجموعتين من الآيات:

أ. الآيات (١-٦)

- على مستوى الأصوات: اختتام الفاصلة بصوت الهاء المسبوق بأحد صوتي الغنة، وهو الميم غالباً عدا مجيء النون في آية واحدة، وبينهما الصائت القصير الفتحة. كذلك اتحدت الآيات في أن ألف المد وقعت الصوت الرابع فيها.[١٤٦]
- على مستوى المقاطع: اتحاد الفاصلة في توافق التركيب المقطعي فيها على مستوى المقاطع الثلاثة الأخيرة، حيث ورد التركيب المقطعي فيها هكذا: ص ح ص – ص ح ح – ص ح، عدا الآية الثانية جاء المقطع الثالث متوسطاً مغلقاً وليس قصيراً.

على ذلك يمكن القول: إن الفاصلة في الآيات جاءت متحدة على مستوى أربعة أصوات (a:–mah)، وعلى مستوى ثلاثة مقاطع (ص ح ص – ص ح ح – ص ح).

ب. الآيات (١٤-٢٥)

- على مستوى الأصوات: اختتام الفاصلة بصوت الهاء، وقد سُبق بالراء في سبع آيات، وبالنون في ثلاث، وباللام في آية، وبالباء في آية، والملاحظ أن جميع هذه الأصوات قد اشتركت في صفة واحدة، وهي الذلاقة، مما يحدث تجانساً صوتياً يحسه القارئ ويتذوقه حين تلاوة الآيات، وتلذ له أذن السامع. وبين الهاء والصوت الذلق تكرر الصائت القصير الفتحة في جميع الآيات عدا آية واحدة، ورد الصائت كسرة فيها.

---

[١٤٥] الألوسي: روح المعاني، ٢٢٨/٢٩.

[١٤٦] حين عد المقاطع يكون العد من آخر مقطع في الآية إلى ما قبله، فالمقطع الأخير هو الأول، وما قبله هو الثاني وهكذا.

- على مستوى المقاطع: انقسام التركيب المقطعي في الآيات هكذا:
- التوافق على مستوى المقاطع الثلاثة الأخيرة في الآيات (٢٠-٢٥)، فجاءت هكذا: ص ح ص – ص ح – ص ح ح.
- التوافق على مستوى المقطعين الأخيرين في الآيات (١٤-١٩) والتجانس في المقطع الثالث، بوروده متوسطاً أو قصيراً، هكذا: ص ح ص – ص ح ح – ص ح أو ص ح ص أو ص ح ح.
- خرج عما سبق التركيب المقطعي في الآية (١٦)، حيث وافق الآيات في المقطع المتوسط الأخير، لكنه سبق بمقطعين قصيرين، فجاء التركيب على مستوى المقاطع الثلاثة هكذا: (ص ح ص – ص ح – ص ح) متفرداً بين الآيات من حيث تتابع المقاطع فيه، وهذا التتابع يستغرق زمناً أقصر مما عليه الأمر في التتابعين السابقين، ولعل هذا التتابع الأقصر يتناسب مع ما تعبر عنه الآية من العجلة، حيث "إن ذكر ضمير القرآن من دون أن يجري له ذكرٌ اختصارٌ وإيجاز في الكلام مناسب لجو العجلة".[١٤٧]

على ذلك يمكن القول: إن الفاصلة في الآيات جاءت متجانسة على مستوى ثلاثة أصوات، وعلى مستوى مقطعين أو ثلاثة، وصوت الهاء – وهو صوت ضعيف – الذي انتهت به الفاصلة في هاتين المجموعتين يوافق ما دلت عليه الآيات من حديث حول أحوال يوم القيامة، وتصوير حال الإنسان خائفاً هلعاً لاهث النفس.

٢- الصوت الأخير في الفاصلة الراء في الآيات (٧-١٣):

- على مستوى الأصوات: اختتام الفاصلة في الآيات بالراء المسبوقة بالصائت القصير الفتحة.
- على مستوى المقاطع: ورد التوافق في التركيب المقطعي في الآيات على مستوى المقطعين الأخيرين: مقطع متوسط مغلق فمقطع قصير، إلا في الآية (١٣) جاء المقطع قبل الأخير فيها متوسطاً مغلقاً. وإذا ما نظرنا إلى الآيات بمراعاة المقطع الثالث نجد أنها قد تجانست فيه، حيث جاء مقطعاً متوسطاً مغلقاً فيها جميعاً سوى في الآية (١١)، فهو متوسط مفتوح، وفي الآية (١٣) مقطع قصير.

[١٤٧] د. فاضل صالح السامرائي: لمسات بيانية في نصوص من التنزيل، ط٦ – دار عمار – الأردن – ١٤٣١هـ، ص ١٩٩.

وصوت الراء التكراري الوارد في فواصل هذه الآيات قد تناسب مع ما تحمله الآيات من معنى الاضطراب والهول من الانقلابات الكونية، والتي تجعل الإنسان الذي شك في يوم القيامة وتساءل عنه مستبعداً عاجزاً عن الفرار والهروب ليس أمامه سوى التسليم بأنه: ﴿ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ ﴾.

على ذلك يمكن القول: إن الفاصلة في الآيات (٧-١٣) قد توافقت على مستوى صوتين، وتجانست في التركيب المقطعي على مستوى ثلاثة مقاطع.

٣- الصوت الأخير في الفاصلة ياء المد في الآية (٢٦):

تفردت هذه الآية في فاصلتها بين آيات السورة الكريمة، فجاءت بياء المد المسبوقة بصوت القاف، وهو الصامت الذي ختمت به الفاصلة في الآيات التالية، بما يجعل الجرس الإيقاعي للآيات متكرراً كون الصامت الأخير فيها قد اتحد.

وهذه الآية مقدمة لمشهد الموت والاحتضار؛ ذلك المشهد الذي يصور حقيقةً تواجه كل إنسان ولن يستطيع الفرار منها، حين الاحتضار ومفارقته للدنيا العاجلة، فناسب هذا ختام الآية بفاصلة الياء المدية؛ فالطول الزمني للياء هو تعبير عن طول الرحلة القادمة مع ما فيها من ضعف وقلة حيلة، فهي حقيقة لا يملك من حوله دفعها، "وهي تتكرر في كل لحظة ويواجهها الكبار والصغار والأغنياء والفقراء والأقوياء والضعاف ويقف الجميع منها موقفاً واحداً لا حيلة ولا وسيلة ولا قوة ولا شفاعة ولا دفع ولا تأجيل مما يوحي بأنها قادمة من جهة عليا لا يملك البشر معها شيئاً ولا مفر من الاستسلام لها، والاستسلام لإرادة تلك الجهة العليا وهذا هو الإيقاع الذي تمس به السورة القلوب وهي تقول: ﴿ كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِيَ ﴾".[١٤٨]

٤- الصوت الأخير في الفاصلة القاف في الآيات (٢٧-٣٠):

اختتام الآيات الأربع بالصامت الشديد القاف بصفاته القوية من الشدة والاستعلاء والقلقلة يتناسب مع معاني الآيات التي تصف حالة الاحتضار حين تنتزع الروح من الجسد انتزاعاً شديداً، وتشتد الحيرة فهل من رقية تفيد في ذلك الوقت، أو أن وسائل النجاة قد عجزت عن التفاف الساق بالساق للوصول إلى نهاية الطريق الذي يصل إليه كل حي، فيكون ﴿ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمَسَاقُ ﴾. وقد عضد هذه المناسبة الصوتية للمشهد الذي

[١٤٨] سيد قطب: في ظلال القرآن، ٣٧٦٦/٦.

تصوره الآيات مجيء الصامت الصفيري السين، والصامت التكراري الراء بالتناوب في الآيات، فالصفير والتكرار كلاهما من صفات القوة.

أما على مستوى المقاطع فإن الآيات الأربع قد ختمت بالمقطع الطويل (ص ح ح ص)، ومن المعلوم صوتياً أن هذا المقطع ذو وضوح سمعي عالٍ، ويستغرق زمناً في النطق خاصة مع تنفيذ حكم المد العارض للسكون بما لا يقل عن أربع حركات، كل هذا يقوي الشعور بالرهبة والخوف في هذه الحالة، "حالة الاحتضار التي ترتسم ويرتسم معها الجزع والحيرة واللهفة ومواجهة الحقيقة القاسية المريرة، التي لا دافع لها ولا رادّ، ثم تظهر النهاية التي لا مفر منها: ﴿ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمَسَاقُ ﴾.[١٤٩]

وعلى ذلك يمكن القول: إن الفاصلة في هذه الآيات، والآية التي قبلها قد توافقت على مستوى صوتين، وعلى مستوى المقطع الواحد في التركيب المقطعي.

٥- الصوت الأخير في الفاصلة ألف المد في الآيات (٣١-٤٠):

- على مستوى الأصوات: اختتام الفاصلة بألف المد المرققة: (a:) إلا في آيتين وردت مفخمة (a:)، كونها سبقت بصامت مستعلٍ أو جاورته، وذلك في (صلى: ṣ aL- La:)، وفي (يتمطى :ta- maṭ -ta-ya).
- على مستوى المقاطع: اتحاد الفاصلة في توافق التركيب المقطعي في الآيات على مستوى المقطعين الأخيرين، حيث وردا متوسطين هكذا: ص ح ح – ص ح ص، ولم يخرج عن ذلك إلا الآية (٣٦) حيث جاء المقطع قبل الأخير فيها قصيراً.

وانتهاء الفاصلة بالصائت الطويل في ختام السورة، بامتداده الزمني يتناسب مع الامتداد المعنوي في الآيات: من حديثٍ حول المكذبين الذين يختالون بالمعصية ﴿ فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ﴿٣١﴾ وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٣٢﴾ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ يَتَمَطَّىٰٓ ﴾، ومواجهة القرآن لهم بالوعيد والتهديد ﴿ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰٓ ﴾، وانتهاء بالمشهد القرآني الذي يقرع الآذان بحقيقة حياة الإنسان التي ليست ﴿ سُدًى ﴾، وكيف أن نشأته الأولى في مراحلها العديدة ﴿ مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ ﴾، ثم ﴿ عَلَقَةً فَخَلَقَ

[١٤٩] السابق، ٣٧٧٢/٦.

فَسَوَّىٰ ﴾، حتى بلغ الأمر منتهاه بجعل ﴿ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ ﴾ تؤكد أن الله تعالى بقادر ﴿ عَلَىٰٓ أَن يُحۡۦِۧيَ ٱلۡمَوۡتَىٰ ﴾.

وعلى ذلك يمكن القول: إن الفاصلة في هذه الآيات قد توافقت على مستوى صوت واحد، وعلى مستوى مقطعين.

الخاتمة:

أسفرت دراسة الدلالة الصوتية في سورة القيامة عن عدد من النتائج، يمكن إجمال أبرزها في النقاط الآتية:

- تنوع العطاء العلمي من القدماء والمحدثين في دراسة العلاقة بين الصوت والمعنى.
- تعدد مظاهر الدلالة الصوتية، على أساس تقسيم الأصوات إلى قسمين: الأصوات التركيبية والأصوات فوق التركيبية.
- تقسيم الدلالة الصوتية إلى نوعين: دلالة صوتية مطردة، وهي المستفادة من الأصوات التركيبية، ودلالة صوتية غير مطردة، وهي التي تأتي من طبيعة الأصوات وتتعلق بالأصوات فوق التركيبية.
- التفاوت في تكرار الأصوات وشيوعها في سورة القيامة بما يتوافق دلالياً مع المقاصد التي دارت حولها السورة، وبما يتفق مع ما عليه سائر اللغة العربية في الأعم الأغلب في الدراسات التي تناولت تكرار الأصوات اللغوية وشيوعها.
- الجهر والهمس من الملامح التمييزية التي تؤثر في الأصوات، وذلك باختلافها في الجهد العضلي المبذول ودرجة الوضوح السمعي والجرس الصوتي مما يجعل الأصوات تتمايز قوة وضعفاً.
- المناسبة الدلالية بين شيوع الأصوات المجهورة في السورة والمعاني التي دارت حولها السورة.
- توضيح القيمة التعبيرية للصوت التركيبي في السورة من خلال الوقوف على ما يتصل بمد الصائت أو قصره، واختلاف الدلالة باختلاف الصائت القصير، والتعاقب بين الصوامت.
- النسيج المقطعي في السورة جاء متفقاً مع ما عليه اللغة العربية، وما خرج عن ذلك فله ظلاله الدلالية المرتبطة بالمعاني التي تحدثت عنها السورة الكريمة.

- المقاطع الثلاثة (ص ح – ص ح ح – ص ح ص) تشكل البنية الأساسية المقطعية في السورة؛ كونها الشائعة في لغتنا العربية والتي يتكون منها أكثر الكلام.
- إبراز العلاقة الدلالية بين تكرار المقاطع الثلاثة في السورة، والتي جاء ترتيبها هكذا: ص ح – ص ح ص– ص ح ح وبين المعاني التي تحملها الآيات القرآنية موضع الدراسة.
- التجمعات المقطعية الواردة في السورة أسهمت في بيان الدلالة الصوتية فيها من خلال توضيح التماثل أو التقارب المقطعي بين المجموعات المعنوية في السورة.
- تنوع الوقف في السورة بين نوعين: الوقفة المنتهية والوقفة غير المنتهية، إضافة إلى تنفيذ السكتة في موضع واحد.
- غلبة الوقفات غير المنتهية حسب أداء المقرئين على الوقفات المنتهية، وهذا يتفق مع اتصال معظم آياتها في معانيها.
- فواصل سورة القيامة فواصل متماثلة، توزعت بين خمسة أصوات هي: الهاء – ألف المد – ياء المد – القاف– الراء.
- تحقق الفاصلة القرآنية في السورة في مواضع محددة من خلال تقديم ما حقه التأخير.
- تحقيق التجانس أو التوافق في الفاصلة القرآنية على مستوى الأصوات من صوت إلى ثلاثة أصوات، وعلى مستوى المقطع من مقطع إلى ثلاثة مقاطع.

المصادر والمراجع:

١- الأصوات اللغوية: د. إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية – القاهرة – ١٩٩٢م.
٢- الأصوات اللغوية: د. محمد علي الخولي، ط٧ – مكتبة الخريجي – الرياض – د. ت.
٣- الأصوات اللغوية – رؤية عضوية ونطقية وفيزيائية: د. سمير شريف إستيتية، ط١ – دار وائل – عمان – ٢٠٠٣م.
٤- الأصوات اللغوية وتنوعاتها في القرآن الكريم – دراسة إحصائية تحليلية لسورة آل عمران: فاطمة حجازي، متاح على revue-ummto.dz . تاريخ الدخول ٢٠١٩/١١/١٠م.
٥- بدائع التفسير الجامع لتفسير الإمام ابن قيم الجوزية، جمعه ووثق نصوصه وخرج أحاديثه يسرى السيد محمد، ط١ – دار ابن الجوزي – الرياض – ١٤٢٧هـ.
٦- البرهان في علوم القرآن: بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٣ – دار التراث – القاهرة – ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.
٧- البيان في روائع القرآن – دراسة لغوية وأسلوبية للنص القرآني، ط٢ – عالم الكتب – القاهرة – ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.
٨- البيان والتبيين: أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق عبد السلام هارون، دار الفكر للطباعة والنشر – د. م – د. ت.
٩- التحليل الصوتي للنص – بعض قصار سور القرآن الكريم أنموذجاً، رسالة ماجستير - كلية الدراسات العليا – جامعة النجاح – فلسطين – ٢٠١١م.
١٠- التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة – دراسة في الدلالة الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية، ط٢ – دار النشر للجامعات – القاهرة – ١٤٣٢هـ/٢٠١١م.
١١- التطور اللغوي – مظاهره وعلله وقوانينه، دار الرفاعي – الرياض – ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.
١٢- تفسير أبي السعود المسمى إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم: أبو السعود محمد بن محمد العمادي، ط٤ – دار إحياء التراث العربي – بيروت – ١٤١٤هـ/١٩٩٤م.
١٣- تفسير البحر المحيط: محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، دراسة وتحقيق وتعليق عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض، شارك في التحقيق د. زكريا عبد المجيد النوقي، د. أحمد النجولي الجمل، قرظه أ. عبد الحي الفرماوي، ط١ – دار الكتب العلمية – بيروت – ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.
١٤- تفسير البغوي المسمى معالم التنزيل: أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، طبعة جديدة ومنقحة – دار ابن حزم – د. ت.
١٥- تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور التونسي: محمد الطاهر بن عاشور، ط١ – مؤسسة التاريخ – بيروت – ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.
١٦- تفسير القاسمي المسمى محاسن التأويل: محمد جمال الدين القاسمي، وقف على طبعه وعلق عليه محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر – بيروت – د. ت.

١٧- التفسير القيم: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، جمعه محمد أويس الندوي، حققه محمد حامد الفقي، دار الكتب العلمية – د. ت.
١٨- الجامع لأحكام القرآن: أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، دار الكتب العلمية – بيروت– د. ت.
١٩- جماليات الهندسة الصوتية الإيقاعية في النص الشعري بين الثبات والتغير: د. مراد مبروك – دار النشر للجامعات – القاهرة – ٢٠١٠م.
٢٠- الخصائص: أبو الفتح عثمان بن جني، حققه محمد علي النجار، ط٢ – دار الهدى – بيروت – د. ت.
٢١- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون: شهاب الدين أبو العباس بن يوسف بن محمد بن إبراهيم المعروف بالسمين الحلبي، تحقيق وتعليق علي محمد معوض – عادل أحمد عبد الموجود – جاد مخلوف جاد – زكريا عبد المجيد النوقي، قدم له د. أحمد محمد صيرة، ط١ – دار الكتب العلمية – بيروت – ١٤١٤هـ/١٩٩٤م.
٢٢- دراسة إحصائية لجذور معجم الصحاح باستخدام الكمبيوتر: د. علي حلمي موسى، الهيئة المصرية العامة للكتاب – ١٩٧٨م.
٢٣- دراسة الصوت اللغوي: د. أحمد مختار عمر، عالم الكتب – القاهرة – ١٤١١هـ/١٩٩١م.
٢٤- دلالة الألفاظ: د. إبراهيم أنيس، ط٦ – دار المعارف – القاهرة – ١٩٨٦م.
٢٥- الدلالة الصوتية في اللغة العربية: د. صالح سليم الفاخري، مؤسسة الثقافة الجامعية – الإسكندرية– ٢٠١٥م.
٢٦- ديوان امرئ القيس: امرؤ القيس، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٥ – دار المعارف – القاهرة – د. ت.
٢٧- رسالة الصاهل والشاحج: أبو العلاء المعري، نص محقق مع مدخل تاريخي موضوعي د. عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ، دار المعارف – القاهرة – ١٤٠٢هـ/١٩٨٤م.
٢٨- الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة: أبو محمد مكي بن أبي طالب، تحقيق د. أحمد حسن فرحات، ط٣ – دار عمار – الأردن – ١٤١٧هـ/١٩٩٦م.
٢٩- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي، طبعة جديدة قابلها وعلق عليها محمد أحمد الأحد، عمر عبد السلام السلامي، ط١ – دار إحياء التراث العربي – مؤسسة التاريخ العربي – بيروت – ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.
٣٠- سر صناعة الإعراب: أبو الفتح عثمان بن جنى، دراسة وتحقيق د. حسن هنداوي، ط١ – دار القلم – دمشق – ١٤٠٥ه/١٩٨٥م.
٣١- الصوت اللغوي ودلالاته في القرآن الكريم: محمد فريد عبد الله، ط١ – دار الهلال – بيروت – ٢٠٠٨م.
٣٢- علم أصوات العربية: محمد جواد النوري، ط١ – جامعة القدس المفتوحة – عمان – ١٩٩٩م.
٣٣- علم الأصوات: د. كمال بشر، دار غريب – القاهرة – ٢٠٠٠م.

٣٤- علم الصوتيات: عبد العزيز أحمد علام – د. عبد الله ربيع محمود، مكتبة الرشد – الرياض – ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.
٣٥- علم اللغة – مقدمة للقارئ العربي: د. محمود السعران، دار النهضة العربية – بيروت – د. ت.
٣٦- عن علم التجويد القرآني في ضوء الدراسات الصوتية الحديثة: د. عبد العزيز أحمد علام، مطبعة السعادة، ١٤١٤هـ/١٩٩٠م.
٣٧- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير: محمد علي محمد الشوكاني، وثق أصوله وعلق عليه سعيد محمد اللحام، المكتبة التجارية مصطفى أحمد الباز – مكة المكرمة.
٣٨- فن الترتيل وعلومه: أحمد بن أحمد بن محمد الطويل، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف – المدينة المنورة – ١٤٢٠هـ/١٩٩٠م.
٣٩- في سيمياء الشعر القديم: محمد مفتاح، دار الثقافة – الدار البيضاء – ١٩٨٩م.
٤٠- في ظلال القرآن: سيد قطب، ط٤ – دار الشروق – القاهرة – ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م.
٤١- في علم اللغة العام: د. أبو السعود أحمد الفخراني، ط١ – د. ن – ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.
٤٢- في اللهجات العربية: د. إبراهيم أنيس، ط٥ – مكتبة الأنجلو المصرية – القاهرة – ١٩٧٣م.
٤٣- كتاب العين: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق د. مهدي المخزومي و د. إبراهيم السامرائي، مكتبة دار الهلال – د. ت.
٤٤- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: محمود بن عمر الزمخشري، رتبه مصطفى حسن أحمد – دار الكتاب العربي – د. ت.
٤٥- الكم الزمني لأصوات المد في القرآن الكريم – دراسة تطبيقية معملية في ضوء علمي التجويد والقراءات: عائشة صالح بابصيل، رسالة دكتوراة – جامعة الملك عبد العزيز – كلية التربية للبنات بجدة – ١٤٢٧هـ/٢٠٠٧م.
٤٦- الكم الزمني للصوائت القصيرة في سورة الطارق – دراسة صوتية معملية ضمن أبحاث المؤتمر الدولي السادس للغة العربية – المجلس الدولي للغة العربية – ١٤٣٨هـ/٢٠١٧م.
٤٧- لسان العرب: جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم بن منظور، تحقيق عبد الله علي الكبير – محمد أحمد حسب الله – هاشم محمد الشاذلي، دار المعارف – القاهرة – د. ت.
٤٨- لمسات بيانية في نصوص من التنزيل: د. فاضل صالح السامرائي – ط٦ – دار عمار – عمان – ١٤٣١هـ/٢٠١٠م.
٤٩- اللهجات العربية والقراءات القرآنية – دراسة في البحر المحيط: د. محمد خان، ط٢ – دار الفجر- القاهرة – ٢٠٠٣م.

٥٠- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: أبو محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي، دار ابن حزم – د.ن – د. ت.
٥١- المزهر في علوم اللغة وأنواعها: عبد الرحمن جلال الدين السيوطي، شرحه وضبطه محمد جاد المولى ومحمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد لنجاوي، منشورات المكتبة العصرية – بيروت – ١٤٠٨هـ.
٥٢- مقدمة لدرس لغة العرب وكيف نصنع المعجم الجديد: عبد الله العلايلي، المطبعة العصرية – د. ت.
٥٣- موسيقى الشعر: د. إبراهيم أنيس، ط٦ – مكتبة الأنجلو المصرية – القاهرة – ١٩٨٨م.
٥٤- النشر في القراءات العشر: أبو الخير محمد بن محمد الدمشقي الشهير بابن الجزري، أشرف على تصحيحه علي محمد الضباع، دار الكتب العلمية – بيروت – د. ت.
٥٥- النظام الأدائي للجملة الشرطية في العربية الفصحى المعاصرة في المملكة العربية السعودية من خلال خطب الجمعة في الحرمين الشريفين: عائشة صالح بابصيل، رسالة ماجستير – وكالة الرئاسة لكليات البنات – كلية التربية للبنات بجدة – ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.
٥٦- نهاية القول المفيد في علم التجويد: محمد مكي نصر، صححه محمد علي الضباع، مطبعة مصطفى بابي الحلبي – مصر – ١٣٤٩هـ.
٥٧- الوقف في الجملة الشرطية من خلال خطب الجمعة في الحرمين الشريفين – دراسة صوتية معملية، مجلة كلية اللغة العربية – جامعة الأزهر – القاهرة – العدد ٣٦ – ٢٠١٨م.

Abstract:

This study is based on clarifying some aspects of the phonemic signification in Surah Al-Qiyamah, with the aim of revealing the relationship between sound and meaning, through two topics, preceded by a preface about the phonemic signification. The first one deals with the phonemic signification of segmental sounds, by identifying the signification of the repetition of sounds, the descriptions of voice and invoice, and the expressive value of the sound. The second topic talked about the phonemic signification of the suprasegmental sounds through the meaning of the syllable, pause, and the rhythm in the Qur'anic comma. It followed descriptive approach, and based on the recitations of three of the readers of the surah, with narration of Hafs from ‘Aasem. The study concluded with a number of results, the most prominent of which are: The semantic compatibility between the repetitions of the voiced sounds in the Surah and the meanings that revolved around it, and the formation of the syllabification structure in the surah of the first three syllables in Arabic, and the predominance of the unfinished pauses according to the performance of the reciters on the finished pauses, and achieving homogeneity or compatibility in the Qur'anic comma At the level of the sounds and at the level of the syllables.